HARLEQUIN®

روايات احلام

حزن في الذاكرة

كيت والكر

WWW.ELROMANCIA.COM
مزورية

حزن في الذاكرة

من هو هذا الرجل الذي راح يهاجم أيف في مساء أحد الأيام؟

كانت عيناه تقدحان شرراً كأنه يريد أن يطبق الخناق عليها...

- أنا لم ألتقِ بك من قبل... أنا لا أعرفك!

- لا تكذبي... اللعنة عليك! أنت تعرفينني جيداً... أنت زوجتي.

أو يعقل لامرأة أن تنسى أنها كانت متزوجة لثلاث سنوات من صاحب أجمل عينين قاتمتين؟ أم تراها إحدى ألاعيب كايل الغامضة؟

كان على أيف أن تفك رباط الذكريات وتسترجع ماضٍ دفنته منذ زمن. غير أنها لم تكن تريد خوض غمار هذه التجربة. لكن كايل كان دائماً موجوداً ليثبت لها، وبإصرار غريب، أن حديث الذكريات أبداً لا ينتهي.

لبنان: ٢٥٠٠ ل.ل.	البحرين: ١ دينار
سوريا: ٧٥ ل.س.	السعودية: ١٠ ريال
الأردن: ١,٥٠ دينار	مصر: ٥ جنيه
الكويت: ٧٥٠ فلس	المغرب: ١٥ درهم
الإمارات: ١٠ دراهم	تونس: ٢ دينار
قطر: ١٠ ريال	عمان: ١ ريال

كيت والكر

ولدت «كيت والكر» في «نوتنغها مشير»، لكنها كانت دائماً تشعر أن جذورها متأصلة في «يوركشير»، لأنها ترعرعت هناك. التقت زوجها في الكلية وعملت أولاً كمشرفة على مكتبة لكتب الأطفال. بعد ولادة ابنها الأول عادت إلى الكتابة التي أحبتها في طفولتها. عندما لا تعمل، تكرس بعضاً من وقتها لعائلتها وقططها الثلاث وولعها بهواية التخريم وجمع التحف ومشاهدة الأفلام والمسرحيات... والقراءة طبعاً.

١ ـ تعرفه أو لا تعرفه

ـ كيف تجرؤين؟ كيف تجرؤين بحق الجحيم؟

بدت لأيف تلك الكلمات الغاضبة وكأنها وحش يندفع بقوة من الظلام ليوجه إليها صفعة عنيفة. كانت لا تزال مسمرة عند عتبة الباب، وبقيت لثانيتين لا تعي شيئاً، والمفتاح في يدها المرتفعة. كل ما كانت تعيه، هو الغضب الأسود في الصوت الذي سمعته.. وما لبثت أن استجمعت أفكارها مرة أخرى، وأدارت تقطيبة مشوشة لصاحب الصوت، وهي تدفع إلى الوراء خصلات ناعمة من شعر أشقر ذهبي، بعثرته الريح فوق وجهها.

ـ أرجو المعذرة؟

أدركت في اللحظة التي تكلمت فيها، أنها وحيدة وأن الشارع الجانبي الهادىء خالٍ تماماً.. وعلمت أن الصوت الذي سمعته كان صوتاً رجولياً من دون أدنى شك.

أما الجواب الذي تلقته فصمت أخرسته الدهشة كصمتها، فاستنتجت أيف في لحظة أن شيئاً ما في ردة فعلها قد أدهشه، ودت بكل شدة لو تستفيد من هذه الفرصة الضئيلة لتفتح الباب وتندفع إلى داخل المنزل، لكنها سيطرت على أعصابها وهي تقنع نفسها أن ما من ضرورة لرد فعل متسرع.. على أي حال، ما كان عليها إلا أن تضغط على زر الجرس، أو تصرخ، ومن ثم يخرج جيم في أقل من ثانية، لا سيما أنه يجالس الأولاد في تلك الليلة.

ثم عمدت إلى رفع صوتها بترفع وبرودة: «أعتقد أنك ارتكبت خطأً ما».

ورفعت رأسها باستكبار وهي تدير عينين زرقاوين واسعتين إلى الصوت الغامض. . كان الرجل الذي وجّه إليها الاتهام، لا يزال مختبئاً في الظل، بحيث أن كل ما استطاعت أن تراه هو شكله الضخم.

ـ أنت تخاطب الشخص الخاطىء، هذا كل شيء. . و. .

ـ أوه لا. . حبيبتي. .

أياً كانت المفاجأة التي أحدثتها في نفسه، فقد استفاق من وهلها الآن فأضحى صوته جازماً واثقاً مرة أخرى، وقد تخللته لكنة ما. . لكنة أميركية. . كما لاحظت أيف من دون تفكير عميق. . لكنها لاحظت أيضاً أن صوته أحدث فيها إعجاباً واضحاً.

ـ لست المخطىء. . بل أنت. . ولست أدري كيف تجرأتِ على الاعتقاد بأنك قد تفلتين من العقاب. .

أمام ذعر ورعب ايف، صمت فجأة، وتمتم بشتيمة عنيفة، عكست الغضب الذي لم يعد يستطيع أن يكبح جماحه. وبسرعة تلاشت ثقة ايف بنفسها، وخطت خطوة سريعة إلى الخلف، نحو الباب، وراحت تدفع المفتاح في القفل بأصابع ترتجف بعصبية. بات واضحاً أنه يحسبها شخصاً آخر. . لكن، تبين كذلك أنه لم يكن على استعداد للإصغاء إلى المنطق.

ـ لا. . ايف. . اللعنة عليك. . انتظري!

أيف. . اسمها وحده جمّدها مرة أخرى، وبدا لها أن في رأسها ضباب من الصدمة. إنه يعرف اسمها. . لا بد أنها التقت به قبلاً. . ولو لوقت قصير. . ربما في حفلة عيد الميلاد التي أقامها جيم ودايان.

ـ أوه. . لا. . لن تهربي مني مرة أخرى.

أعادت الرنة الخشنة في صوت الرجل سلسلة أسئلتها الحائرة إلى الحاضر. كان قد تقدم خطوة إلى الأمام، ومد يده وكأنه يريد الإمساك بها.

فما كان منها إلا أن ابتعدت عنه بدافع غريزي. فوصلت إلى النور الذي كان يشع من زجاج الباب. . وحين تسلطت عليها الأضواء، أضيء وجهها كله، فسمعت الرجل يسحب نفساً سريعاً متحشرجاً، وأحست بنظرته

تنتقل عليها، من الشعر الحريري الأشقر المتموج، مروراً بالوجه الشاحب المستدير كما القلب، إلى عينين زرقاوين قاتمتين كبيرتين بشكل غريب، وأنف شامخ إلى فوق، وانتهاءً بفم ناعم ممتلىء، قبل أن يتابع تجواله فوق جسمها.

لو تمكن من رؤيتها منذ سنتين، لأبصر شكلاً مختلفاً، وأجفلت أيف لتفكيرها هذا ولمرارة الذكرى اللاذعة. . لكن القلق والخوف شلاّ تفكيرها، وأعاداها بقوة إلى وضعها الحالي. وفجأة قطعت كلماته حبل أفكارها مرة أخرى.

قال بلهجة جديدة مختلفة تماماً: «لا تتلاعبي معي ايف!. . لقد فات الأوان لهذا».

هذه المرة اجتاح ايف نوع آخر من الخوف، وأحست كأن الآلاف من أجنحة الطيور المجفلة تتضارب مذعورة داخل قفصها الصدري، فراحت تتنفس بسرعة، وبشهقات غير سوية. . هل تعرفه؟ وما كادت تفكر بهذا السؤال، حتى ساورها شعور رهيب. . أتريد حقاً أن تعرف الجواب؟ لقد توصلت، إن لم نقل إلى الأمان، فعلى الأقل، إلى نوع من الرضوخ لواقعها، خلال الوقت الذي عاشت فيه مع جيم ودايان. . فهل ترغب في خسارة كل ما كافحت بقوة للحصول عليه؟

ـ من. . من أنت؟

ـ أوه. . ايف. . ألا تعرفين؟

بدا في الصوت اللطيف لمسة سخرية وتأنيب. أثارت نبرته في ذهنها إحساساً يفوق الحزن، وكأن شخصاً ما أخذ يمرر حديداً أحمراً ساخناً فوق أعصابها وسيطر على داخلها الذعر الأعمى.

ـ لا. . لا أعرف! ويمكنك أن تتوقف عن الاختباء في الظل وكأنك جبان يثير الشفقة!

وعرفت، حين أرجع رأسه إلى الوراء أن اتهامه بالجبن لم يعجبه. . لكنها أكملت: «إذا كان لديك ما تقوله لي، فلتملك الصدق والذوق،

لتواجهني به!».

ـ حسن جداً..

بدت الثواني الثلاث التي لزمته ليتقدم نحو النور وكأنها دهر. حينها أحست بقلبها يخفق عالياً، فراحت تتنفس بصعوبة، قبل أن يتوقف أمامها أخيراً، ويصبح مرئياً بوضوح.

سأل باللهجة المستخفة ذاتها، وابتسامة ساخرة تكوّر شفتيه: «أهذا أفضل؟».

لكنها لم تعرفه.. ولم تعرف أيف هل تحس بارتياح أو خيبة أمل سوداء مريرة. إنها لا تعرفه! وعلى الأرجح لم تعرفه يوماً.. إذ كيف لها أن تنسى مثل هذا المزيج القاتل من الجاذبية والشعر الأسود، والعينين البنيتين العميقتين يعلوهما حاجبان كثيفان مستقيمان؟ بل كيف تنسى الأنف المستقيم، والفم الجميل الشكل، والفك والذقن العنيدين؟ ترى متى رأت كل ذلك؟

وتبين لها أنها قد أخذت انطباعاً عن شكل جسمه الضخم. فجسم هذا الرجل نحيل قوي العضلات. وهو يرتدي بذلة رمادية أنيقة، ويمتلك قوة مثيرة للاضطراب. كان طويلاً، يفوقها طولاً بستة إنشات، وما إن وقع نظرها عليه حتى أحست أيف وكأن ماء مثلجاً ينزلق نزولاً فوقها، بحيث أخذت ترتجف، وفمها ينم عن ارتباك مؤلم.

سألها الغريب: «أهكذا أفضل؟».

كانت السخرية في صوته، تتناقض تناقضاً دقيقاً مع عينيه البنيتين المركزتين على وجهها، لا بل على كل قسماتها، حتى أحست وكأنه يريد استعادة ذكرياته بكل تفصيل والاحتفاظ بها إلى الأبد.

شعرت أيف فجأة وكأن معطفها الواقي من المطر، لم يكن يحميها من نظراته الثاقبة. بدت لها الفكرة مدمرة إلى درجة جفاف فمها أكثر فأكثر، فاضطرت متوترة إلى أن تبلل شفتيها. وازداد توترها أضعافاً حين رأت نظرته القاتمة تهبط نزولاً لتلاحظ حركتها الفاضحة.

ـ ماذا..؟

وخرج صوتها من السيطرة، فراحت تتلعثم قبل أن تكمل: «ماذا كنت تريد أن تقول لي يا سيد..؟».

وتعمّدت إضفاء رنة متسائلة على سؤالها، وكأنها تلمح إليه، بما لا يترك مجالاً للشك، أنها لا تعرف اسمه.. فأبصرت تقطيبة سوداء بين حاجبيه. وانتظرت رده، على أحر من الجمر. لكنها لم تستسلم، إلا بعد أن امتد الصمت إلى درجة لا تحتمل، فتابعت من دون ثبات: «.. يبدو أنك تعاني من مشكلة ما.. لا بد وأنك تفكر بشخص آخر.. أنا...».

قاطعها بخشونة: «أوه لا.. أنا لا أفكر هكذا.. أعرف بالضبط ما أبحث عنه.. أنت من جئت لرؤيته».

ـ إذن، ربما من الأفضل أن تشرح لي.. لأنني حقاً لا أعرف ماذا اقترفت لأزعجك.

مرة أخرى أزالت التقطيبة الهدوء بين حاجبيه، وبدا في عينيه البنيتين نظرة غضب وارتياب صريح فارتجفت أيف في داخلها. حاولت أن تواجه عدوانيته في ابتسامة خبت بسرعة أمام تعابيره التي لا تلين.

ـ هلا قلت لي ما اسمك أولاً.. أنا أيف مونتاغوي..

وكأنها أضرمت النار في كومة من الأغصان الصغيرة.. فتجاهل اليد الممدودة إليه، والتمعت عيناه بنار محرقة. ثم رفع رأسه بعنف قائلاً:

ـ بحق الله! متى تتوقفين عن هذه التمثيلية اللعينة؟ تعرفين تماماً من أنا ولماذا جئت.. كان يجب أن تتوقعي مجيئي.. وأنني في النهاية سأقرأ ما كتبته، ثم أجول البلاد لأجدك.. لكن الآن..

غمرها إحساس بالتحرر، فترنحت إلى الخلف لتستند إلى الجدار بارتياح.

ـ لقد جئت بسبب كتابي!

قال بعدوانية هدّدت راحة بالها: «أهناك سبب آخر؟».

ـ هل أرسلك جنسن؟

بدأ ذلك التوتر الفظيع يتسلل إليها مجدداً . . إن كان يعلم بأمر مؤلفها، فمن الطبيعي أنه يعرف اسمها، لكن عدوانيته المستمرة ظلت تقلقها بعمق، أي نوع من الناشرين يمكن أن يزور مؤلفة لأول مرة في منزلها في السابعة والنصف ليلاً؟

كرّرت بقوة أكبر: «هل أرسلك جنسن؟».

ساد صمت وجيز، بدا الرجل بعده وكأنه تلقى صفعة قوية على وجهه.

ثم أعلن بعجرفة: «لا . . لم يرسلني جنسن . . أنا جنسن، كما تعرفين جيداً!».

ـ كايل جنسن!

انزلق اسم المدير العام لامبراطورية النشر جنسن من فم أيف، فيما هي تتذكر المداخلة التي قرأتها في دليل الكاتب خلال أوقات الغداء في المكتبة . . كان صغير السن بالنسبة لهذا المركز . . وقدّرت أنه يقارب الخامسة والثلاثين، وكانت تتوقع أن يكون رئيس مؤسسة جنسن أكبر سناً.

ـ في خدمتك . .

ثم انحنى أمامها بسخرية أكبر.

ـ هل ترغبين في بطاقة العمل كدليل على هويتي؟

ردت بسرعة: «كان يجدر بك أن تقدمها قبلاً، لو أنني عرفت من أنت . . ».

ـ لو عرفت . . يا للعنة . . أيف . . أي نوع من الألعاب تلعبين؟

هذه المرة استسلمت أيف إلى موجة الذعر التي اجتاحتها، ثم أشاحت وجهها بسرعة وهي تدس مفتاحها في القفل . . كانت على وشك أن تديره حين تقدم إلى الأمام وأمسك معصمها بقبضة قوية، حتى تسمّرت في مكانها.

ـ لن تذهبي إلى أي مكان حتى أنتهي.

ابتلعت أيف صيحة الرعب التي ارتفعت إلى شفتيها وهي تقاوم القبضة المؤلمة على ذراعها . . لكن من الأفضل ألا تثير عدوانيته أكثر من هذا . . تمكنت من القول مرتجفة:

ـ من الأفضل أن تقول لي ما تريد . . ثم هل تسمح بأن تترك ذراعي؟ أنا لست وحدي، فصديقي في الداخل . . وما عليّ سوى أن أناديه . .

أحست بارتياح شديد عندما أنزل يده عنها بسرعة، وكأنها نار أحرقته. وبجهد قاومت اندفاعاً غمرها لتدعك ذراعها، حيث خلفت أصابعه في بشرتها الرقيقة آثاراً قوية.

من هو هذا الرجل الذي يدّعي أنه قادم من جنسن وأنه يملك جنسن، كما إنه يتلفظ بأسمها بحدة مخيفة؟

أحست أيف بساقيها ترتجفان، وغمرها إحساس بالضعف والصدمة . . بدا الإحساس نفسه كما في الماضي . . شعور غريب بالخوف، وبدوار في رأسها كأن أعصاراً يغزوها ليطرد منها كل تعقل. لقد قاومت بقوة . . وتحملت الكثير من الضغط والألم، كي تعود إلى طبيعة بالكاد تتحملها، هي حياتها الآن . . وفي خمس دقائق قصيرة تمكن هذا الرجل من إيصالها إلى ذات المستوى من الذعر والصدمة.

ـ أريد فقط أن نتكلم.

بدا وكأنه أدرك أنه بالغ في الضغط عليها. لا سيما حين كشف وجهها الشاحب وعيناها البراقتان خوفاً مضطرباً.

ردت ايف بصوت متألم وهي تعاني في إخراج الكلمات: «نتحدث؟ عن ماذا؟ عن كتابي؟».

رد بشكل غامض: «إذا كان هذا كل ما أنت مستعدة لبحثه . . أجل».

لم توح خشونة لهجته بأنه حاضر ليتكلم عن العمل.

ـ حسن جداً . .

وفي خضم ترددها وضياعها، سمعت وقع أقدام في الشارع . . ووصل إليها صوت محبب تعرفه جيداً فبعث فيها الراحة.

ـ مرحباً ايف . . ماذا تفعلين هنا عند باب دارك؟

ـ دايان!

بصيحة اغتباط، استدارت ايف إلى صديقتها، وصاحبة منزلها،

والارتياح ظاهر بوضوح على وجهها. ومع تلاقي عيونهما، لمحت ايف تغيراً في تعابير المرأة التي تكبرها سناً، فقد قطبت جبينها قلقاً..

ـ ايف؟ من هذا؟

تنقلت عينا دايان الرماديتان النافذتا البصيرة من وجه كايل جنسن القاتم إلى وجه ايف الشاحب، ولاحظت التوتر الذي يسيطر على عضلاتها، وعينيها المتسعتين، بلون اللاقندر القاتم: «هل يزعجك هذا الرجل؟».

ـ أجل.. لا..

لم تعرف ايف كيف ترد على صديقتها، ولم تتمكن من التعبير عن مشاعرها في كلمات. لم يكن الرجل نفسه ما يثير قلقها.. لكن تأثيره البارز والذعر الذي تملكها سببا لها شبه انهيار.

حاولت الكلام مجدداً: «إنه..».

لكن دايان شاهدت ما يكفي.. فتحولت إلى امرأة عدوانية، ثم نظرت إلى كايل في عينيه مباشرة. وسألته ببرودة كالثلج:

ـ ما الذي يجري هنا بالضبط؟

لكن هذا لم يزعجه البتة.. فقد اعتاد كايل جنسن على التعامل مع الغرباء العدوانيين.. فهل يعقل أن يكون المرء على رأس امبراطورية نشر عالمية وخجولاً في الوقت نفسه؟

قال يسأل بنعومة: «ومن أنت؟».

وارتفع حاجبه الأسود وكأنه يؤكد لدايان أنها هي من يلعب دور المتطفلة لا هو.

ـ اسمي دايان بينيت.. وهذا منزلي.. وايف تسكن عندي و..

ونظرت إلى ايف نظرة شجعتها وولدت فيها القوة:

ـ وهي صديقة مميزة جداً.. فإذا كان لديك ما تقوله لها، يجب أن تقوله أمامي.

تسمّر كايل في مكانه، وقد تبخرت تماماً تلك النزعة الهجومية التي ظلت تلازمه، جسدياً ولفظياً. لكن ايف لاحظت كيف أخذت عيناه

البنيتان الداكنتان تنتقلان من وجه دايان إلى وجهها، ثم تعودان إليها مرة أخرى. بدا أنه يفكر بروية، وهو يقيم الموقف بسرعة وخبث، ويقرر كيف يتعامل مع الوضع الجديد.

ـ أنا كايل جنسن.

بغتت لسماعها صوته يتحول فجأة إلى النعومة والأدب.. فصعب على ايف أن تكبح شهقة دهشة لا سيما حين مد إليها يده القوية، وقد زينت بخاتم ذهبي منقوش في الأصبع الثالث. بدا لها رجلاً مختلفاً ذلك الذي يقف أمامها الآن.. رجلاً بشخصية دمثة، سهل المعشر، جذاباً ويسهل التواصل معه. وكان من الواضح أن دايان انجذبت للسحر الذي يحيكه.. فقد استجابت لنظرة عينيه البنيتين، وتركت أصابعها تستغرق في قبضة ثابتة وواثقة.

ـ أنا أملك مؤسسة جنسن للنشر.

ترك يد دايان، ثم مد يده إلى جيب داخلي أخذ منه بطاقة بيضاء مستطيلة، هي بطاقة التعريف به! فشهقت ايف وهي تقاوم إحساس غضب هائلاً. فقد واجه دايان بدليل عن هويته بينما تحاشى هذا الأمر معها. والتقطت أذنا كايل الحادتان الصوت الخفيف، فألقى عليها نظرة مقيّمة.

قالت متلعثمة، وبشرتها تقشعر توتراً:

ـ لو أنك أريتني هذا منذ البداية..

سأل ببرود وسخرية: «أكنت تعامليني بشكل مختلف؟ أشك في هذا كثيراً آنسة مونتاغوي».

ترك ايف حائرة كيف تفسر الطريقة الغريبة التي ركز فيها على اسمها، وأدار اهتمامه إلى دايان.

ـ لا شك في أنك تعرفين أن الآنسة مونتاغوي..

ومرة أخرى، كان هناك ذلك التعبير الساخر في لفظه لاسمها..

ـ.. قد كتبت قصة..

صمت، منتظراً موافقة دايان، من غير أن تتوقف عيناه عن التنقل من

وجه امرأة إلى الأخرى، ومجدداً راح يراقب كل ردة فعل ولو صغيرة قد تظهر له مشاعرهما.. ولم تكن ايف في أدنى شك أنه، مسيطر تماماً على الموقف، يتلاعب بهما معاً بسهولة تثير الاضطراب.. فسرت قشعريرة في جسمها، لا دخل لها ببرودة هذه الأمسية من شهر آذار (مارس)، وحذرتها غريزتها من القوة المخيفة في كايل جنسن، أكان هذا في العمل أم في الحياة اليومية.. قوة من الصعب مواجهتها دون عواقب.

قالت دايان: «قصة.. أجل. لقد نصحتها أن تعرضها على الناشرين لترى إذا كانت مناسبة».

ـ وهل قرأتها؟

أحست ايف شيئاً ما، في الطريقة التي انبسطت فيها لهجته، ورقّة فمه الخطيرة، وكأنه يقول لها، أنه، لسبب ما، لم يكن مسروراً بقصتها.. لكن، بعد لحظة بدا وكأن الغضب، هذا إذا كان غاضباً، قد غادره، فيما عادت إليه اللهجة الناعمة:

ـ إذن ستفهمين لماذا أريد التحدث إليها.

تساءلت ايف إن كانت مصابة بجنون الارتياب، أم أنه حقاً يملك عدة معانٍ خفية وراء لهجته المسترخية، لم يبد أن دايان شعرت بكل هذا.. لكن بشرتها هي كانت تقشعر بتوتر في كل مرة يتكلم كايل فيها.

ـ لأنها قصة جيدة جداً!

لم تكن دايان تدرك التيارات الخفية التي تتخبط فيها ايف، لكنها لم تتردد في الإعلان عن موالاتها لصديقتها بصراحتها المعهودة.

ـ إنها بالتأكيد جيدة.

بالرغم من التوتر المؤلم الذي يتحكم بها، لم تستطع ايف أن تكتم ابتسامة ابتهاج حينما تمتم كايل بالموافقة.. فقصتها كانت طوق نجاتها.. وأحست عندما علمت أن شخصاً رفيع المكانة في عالم النشر، مثل كايل جنسن يعتقد بالموهبة في كتاباتها، كأنما جنية تحقق لها أعز أمانيها.

قالت بسرعة: «أنا مسرورة لأن الكتاب أعجبك».

وتفحصها كايل بنظرة جانبية سريعة أخرى، إنما بلمسة جديدة.. لمسة ماذا؟ عدم تصديق؟ سخرية؟

رد كايل: «لقد أعجبت بها كثيراً.. لكن...».

ولدى سماعها لهجته تلك، استعدت ايف للأسوأ.

لكن الأسوأ لم يأتِ.. بدلاً من ذلك، تابع كايل بلهجة مختلفة جداً:

ـ اسمعي.. هل نستطيع مناقشة الأمر في مكان أكثر راحة وأقل انزواء؟

ـ بالطبع.

بدت دايان مصدومة إزاء وقوفه على عتبة الباب طويلاً، وهي في العادة امرأة مضيافة مرحبة.

ـ لقد نسيت حسن الأخلاق.. يجب أن تدخل سيد جنسن.

لقد ضم دايان إلى صفه.. وخبرت ايف موجة مرارة موجعة، وأدركت كم سهل عليه تغيير رأي صديقتها..

انشغلت دايان بفتح الباب، وأدخلتهما إلى المنزل، فعلقت المعاطف في الردهة، ثم قادتهما إلى غرفة الجلوس. في هذا الوقت، كانت ايف تقاوم الإحساس بالذعر حين دخل كايل جنسن إلى البيت الوحيد الذي تعرفه. وبالطبع، كانت دايان معها، إضافة إلى جيم الذي بدا متفاجئاً بالزائر غير المتوقع، ووقف بأدب يستقبله. فشعرت بالأمان لأن هذين الصديقين المقربين يحميانها.. إضافة إلى هذا، لم يكن من سبب منطقي يدعوها للخوف. فعلى أي حال، لقد جاء ليتحدث عن كتابها.. أليس كذلك؟

فسألت دايان ما إن تخلصت من معطفها: «هل ترغب في القهوة سيد جنسن؟».

رد كايل بابتسامة ساحرة:

ـ سيكون هذا ترحيباً عظيماً.. وقد يساعدني على البقاء مستيقظاً، لقد وصلت إلى لندن من أميركا هذا الصباح، لذا أخشى أن أكون عرضة لمتاعب السفر الطويل.

وفكرت ايف: لا يبدو متعباً بالتأكيد. وأخذت تقارن بذلته الرمادية

الأنيقة وقميصه الأبيض، والربطة النبيذية اللون، فمظهره الأنيق الخالي من أي عيب، مع خف جيم المهترىء وبنطلونه الواسع، وكنزته الخضراء العتيقة المريحة، ولان وجهها قليلاً وهي تفكر كم أن زوج صديقتها مهمل في مظهره.. ولكنه يهتم أيضاً بأشياء أخرى.. زوجته مثلاً، ابنتيه التوأم البالغتين من العمر عشر سنوات، بالإضافة إليها. كانوا سيعترضون على فكرة استقبال غريبة.. تفرض نفسها على حياتهم المريحة، حتى ولو كان جيم معتاداً على زوجته واستقبالها لأي شريد، لأتفه الأسباب. لكن جيم رحب بها بدفء وكرم ماثل دفء زوجته وكرمها. ولهذا ستبقى ايف دائماً ممتنة شاكرة إلى ما لا نهاية.

صاح جيم غير مصدق: «هذا الصباح؟ من الولايات المتحدة؟».

حين أومأ كايل بالإيجاب، هز جيم رأسه بذهول.. فنادراً ما انتقل جيم بينيت بعيداً عن ركنه في لندن، ولا رغبة له في أن يرى المزيد من العالم.. وأكمل: «لا بد أنك منهك إذن».

رد كايل: «أنا معتاد على هذا، كما أنني أضطر للقيام بمثل هذه الرحلة دائماً.. لذا، أعتقد أنني أتكيف مع اختلاف الوقت بين بلد وآخر بسهولة أكثر الآن».

قالت ايف: «بسهولة تكفي لك لأن تذهب مباشرة إلى مكاتب جنسن في لندن، وتبدأ العمل فوراً».

وتمنت لو أن كلماتها لم تجذب العينين القاتمتين إليها مرة أخرى.. فوجدت فيهما التعبير البارد نفسه إنما أكثر وضوحاً لا سيما أنها تراه في النور لأول مرة.

لا يمكن أن تكون قد رأته من قبل.. وأقنعت نفسها بهذا.. واعترفت مرة أخرى بتأثير جسمه المذهل، ولمعان شعره الأسود المصقول، وعينيه البنيتين الداكنتين، تحيط بهما رموش كثيفة سوداء رائعة.. هل يمكن لمثل هذه الرموش التي يحسد عليها أن تكون طبيعية؟ لم تستطع سوى أن تبقى على حيرتها، ثم تقترب منه من دون تفكير لتتفحصه عن كثب.. عندئذ سرت

فيها موجة صاعقة وهي ترى ردة فعله الآلية، والتصلب الغريزي لجسمه الطويل، وكأنه قادر على صد نظرتها فعلياً.. على الفور خطت إلى الوراء، بعيداً عن العدوانية التي تشع منه. ثم لجأت بسرعة إلى الأدب الاجتماعي:

ـ جيم.. أنا آسفة.. كان يجب أن نعرفكما.. هذا.. السيد المهذب.

أكسبها هذا التردد المتعمد في الوصف، نظرة غضب من كايل:

ـ.. هو كايل جنسن، إنه ناشر..

فقاطعتها دايان عبر باب المطبخ: «ولقد جاء ليتحدث إلى ايف عن كتابها، أليس هذا أمراً رائعاً؟».

أهو أمر رائع حقاً؟ لم تستطع ايف منع نفسها من السؤال. فمنذ بضعة أيام، وحتى اللحظة التي التقت فيها بكايل، كانت تؤمن أن كتابها سينتشر ليحدث إثارة كبرى.. لكن هذا قبل أن يقترب كايل منها.. وهذا اللقاء غيّر كل المقاييس.

علق جيم: «هذا عظيم!».

وأضاء وهج دافىء قلب ايف حين أحست بحماسة جيم.. كان هو ودايان يحبانها جداً، ويحميانها وكأنهما والداها بالفعل.. أو، بالأحرى، كأنهما أخوها وأختها الأكبر سناً. كانت دايان في الستة والثلاثين من عمرها ولا تكبر ايف بأكثر من تسع أو عشر سنوات.

فجأة، أدركت أن كايل يراقبها مرة أخرى، وراحت عيناه السوداوان تنفذان إلى رأسها، وكأنه يستطيع فعلاً أن يقرأ أفكارها.. على الفور أصبحت فريسة لإحساس متوتر غير متوقع وكأنه غير راضٍ عن الطريقة التي ترتدي فيها ثيابها. وألفت نفسها تتمنى ارتداء ثياب مختلفة عن التنورة الكحلية والبلوزة المخططة بالأزرق والأبيض، فقد كانتا مناسبتين جداً لعملها كبائعة في المكتبة المحلية.. لكنها أحست فجأة أنهما باهتتان وغير جميلتين.. ثم راهنت أن صديقات كايل جنسن لسن مضطرات إلى اصطياد الصفقات الرخيصة في المبيعات العامة لشراء الملابس. واجتاحتها موجة من الاستياء لهذا الإحساس..

وبعد لحظة استطاعت المحافظة على أعصابها. لقد ذهلت كيف اضطربت كل هذا الاضطراب بسبب نظرة واحدة من هاتين العينين السودواين بلون القهوة.. توقفي عن هذا! ما هم ما يظنه كايل جنسن بمظهرها؟

تابع جيم، وهو غافل عن حالة ايف المتباعدة.

ـ لطالما عرفت أن كتاب ايف يستأهل النشر. في الواقع، أنا واثق من أنك ستحصل على كتاب رائع.

ـ ربما.

نظرت ايف إلى كايل وهو يتكلم، وأحست بصدمة شبيهة، وهي ترى التناقض بين هذه الملاحظة الهادئة وتلك النظرة المليئة بالغضب التي كان يوجهها نحوها.. لا بد أنه يشعر بشيء ما ضد من يقرأ مؤلفها.. وهذا أمر غير منطقي على الاطلاق. وما لبث أن تابع، وقد ظهر الانزعاج في صوته هذه المرة: «إذن، كلكم قرأتم المؤلف».

أحست ايف فجأة أنها غير قادرة على السيطرة على كلماتها، ووجهت غضبها إلى كايل بشراسة لم تعهدها، شراسة أذهلت صديقيها.

ـ وما الخطأ في هذا؟

وتقدمت دايان إلى باب المطبخ وعلى وجهها نظرة مصدومة.. أما جيم فقال: «ايف.. حبيبتي..».

لكن ايف كانت قد تجاوزت مرحلة الإصغاء أو التعقل. وكأن شيء ما في كايل جنسن يقطع تيار توارد الخواطر في ذهنها.. مجرد سماعه يتكلم، كفيل بأن يرسل شرارات ذعر فيها..

تابعت وصوتها يرتفع:

ـ أعني.. من الطبيعي أن أرغب في أن أعرض كتابي على أفضل صديقين لي أولاً. وكما تعلم.. فمن الصعب جداً إخفاء ما أقوم به، بما أننا محشورون جميعاً في مكان صغير.. لكن، ما همك لو قرأ الكتاب لو أنك قررت يوماً أن تنشره..؟

كانت كلماتها تنطلق دون أي كابح.

ـ أهذا ما يقلقك؟ هل أنت قلق حول تخفيض أرباحك لأنهما لن يشتريا الكتاب..؟

ـ هذا أمر مستبعد.. إذا كنا سنتحدث عن مئات الآلاف، فلن يزعجني ذلك أبداً، فلن يلحظ أحد.

سخرية مريرة.. ضحك خفي، تلميح عن شيء آخر.. شيء مختلف تماماً لم تستطع ايف تفسيره، بدا في صوته..

قالت دايان تحاول تلطيف الجو العدائي:

ـ بالطبع سنشتري نسختين من كتابك ولو نشر.

بدا كأن عبارتها لم تبلغ مسامع كايل وايف. ففي تلك اللحظة، وقف كايل يواجهها، وعيناه لا تفارقانها، يكاد التوتر بينهما أن يظهر للعيان. تسمرت ايف بنظرته السوداء، وهي تحس وكأن السخرية في كلماته تحرق رأسها، بنيران حمراء مشتعلة.. منذ قابلته وفي داخلها بركان يقترب من درجة الانفجار.

تغير وجه كايل تماماً. اختفى ذلك التعبير الودي الذي أظهره لدايان وجيم. زال في لحظة ليحل مكانه قناع خشن من الغضب البارد. شد بشرته فوق عظامه، فظهر الغضب حول أنفه وفمه فيما استقامت شفتاه بشكل خطير جداً. أما عيناه البنيتان الجميلتان فراحتا تشتعلان بنار ذهبية. إلا أنه، رغم ذلك، بدا مسيطراً تماماً على صوته حين قال:

ـ أعتقد أن الوقت قد حان للتوقف عن التلاعب، ألا تعتقدين هذا أيضاً؟

خرجت الكلمات قاطعة: «تلاعب؟».

كانت شهقة يائسة، وظنت ايف أنها على الأرجح نسيت كيف تتنفس، فقد شهقت بألم وقد غادرتها الراحة تماماً.

ـ أي تلاعب؟ أنا لا أعرف عمّ تتكلم.

ـ أوه بلى.. تعرفين.

بكلمة واحدة صرف النظر عن احتجاجها وكأن لا قيمة له.

ـ تعرفين لماذا أنا هنا ايف.. لا لمجرد الحديث عن كتاب لعين، ولو أنه سبب مجيئي الأصلي إلى هنا.. وكما خططت تماماً.. أليس كذلك حبيبتي؟

صفعتها الكلمة الأخيرة وبدا لها هذا اللفظ التحبيبي إهانة سامة..

ـ أنا لا أفهم!

ـ أوه.. بحق الله! حبيبتي لا بد أنك أدركت أنني سأعرف كاتب القصة ما إن أقرأ الفصول الأولى منها. حتى ولو حاولت جاهدة أن تخفي اسمك، كنت تعرفين أنني سأجيء بحثاً عنك.. في الواقع، هكذا خططت لكل شيء. ولهذا أرسلت القصة إلى جنسن أصلاً.

ـ لا.. لم أفعل.. أنا لا..

ـ لا تكذبي.. اللعنة عليك!

وقف جيم على قدميه، يتنفض سخطاً: «اسمع الآن..».

بالرغم من كربها وارتباكها، لم تستطع ايف إلا أن تلاحظ كم يبدو جيم صغير الجسم، ومزري المنظر، أمام كايل جنسن الطويل القامة الأنيق الملبس..

لم ينظر كايل إلى الرجل الأكبر سناً: «هذا بيني وبين ايف».

واستدار إلى ايف، فيما الوحشية على وجهه تخيفها: «أليس كذلك؟».

ـ قلت لك.. لا أعرف عمّ تتكلم.. ولا أعرف لماذا أنت هنا.

ازداد تدافع الحمم في رأسها، مع مرور الثواني.. وكان البركان يقترب من الانفجار.

وكرر كايل: «لا تكذبي عليّ!».

هذه المرة لم يرفع صوته، بدت الكلمات وكأنها فحيح كوبرا مهتاجة على وشك أن تلسع.

ـ لقد أردتني أن آتي وإلا لما أرسلت مثل هذه الرسالة الواضحة.

ـ أية رسالة؟

كانت صيحتها صيحة يأس وتشوش كامل، فكل كلمة ينطق بها كانت

تبدو لها عجيبة أكثر من الأخرى.

ـ أنا لم أرسل لك أية رسالة قط.

ـ بالطبع أرسلت! فات وقت الإنكار.. كل شيء موجود على الآلة الطابعة.. كل كلمة.. لقاؤنا.. موعد المرة الأولى..

ـ لا!

سيطر طنين في رأسها وكأنه ألف نحلة اجتاحته.

ـ لم ألتق بك من قبل.. أنا لا أعرفك..

صاح كايل بوحشية: «لا تكذبي.. اللعنة عليك! أنت تعرفينني جيداً! أنت..».

قاطعه جيم بقوة، وهو يمسك ذراعه ويهزها: «هذا يكفي! ما الذي يجري بالضبط؟ أتحاول الادعاء بمعرفة ايف؟».

ـ أنا لا أحاول ولا أدعي شيء.. أنا أبين أمراً واقعاً.. أعرف ايف.. وهي تعرفني.. يجب أن تعرفني على أي حال. لقد عشنا معاً كرجل وزوجته لثلاث سنوات تقريباً.

نتيجة لهذا التصريح المدمر الأخير، ساد نوع من الصمت المذهول. كانت تعابير وجوه الموجودين تتغير بسرعة صاعقة، وبقوة عجيبة. بدا أن جيم لم يفهم، ثم ارتبك تماماً، ونقل نظره بعينين فاغرتين من كايل إلى ايف، وأعاد الكرة، وهو يهز رأسه ببطء، غير مصدق. في الوقت عينه أخفت دايان فمها بيديها، ثم خطت بضع خطوات مستعجلة إلى الغرفة، لتكبت صيحة حاولت الإفلات منها.

لقد تحقق أخيراً أسوأ كوابيسها. لم تجد صوتاً أو إشارة تعبر عن شعورها، بل وقفت مسمّرة مذهولة، تحدّق بالرجل الأسمر الغريب الذي يقف وسط الغرفة.. الرجل الذي يدعي أنه زوجها.. إلى أن تشقق البركان داخل رأسها لتكشف فوهته عن نيران مندفعة.. وتفجر في هدير مرعب دمر كل وعيها، فانهارت ووقعت في إغماءة كاملة.

***

٢ ـ ذاكرة غافية

ـ ايف؟ ايف.. حبيبتي..

بدا الصوت الناعم المتملق وكأنه قادم إليها من نفق طويل مظلم. كان صوتاً متوتراً يثير الاضطراب، فغمرها إحساس بالرهبة لم تستطع فهمه. فتأوهت ثم أدارت رأسها إلى الوسادة.

ـ ايف، حبي، استيقظي!

أجبرت ايف نفسها على فتح عينين مثقلتي الجفون، وإذا بوجه دايان القلق يطالعها، فرفّت عينيها بصعوبة. وتمكنت من القول بارتباك، وبصوت يشبه الحشرجة: «ماذا؟».

ـ هس.. لا تحاولي الكلام الآن، اشربي هذا.

ارتشفت ايف الشراب في الكأس الزجاجي الممدود إليها، وهي تتذمر كطفل مريض.

ـ أوغ!

وأجبرت نفسها على الابتلاع وهي تكشّر كرهاً لمذاقه المر، فضحكت دايان ضحكة مرتجفة.

ـ أنا آسفة.. لا نملك أي شراب آخر.

ردت ايف: «أنا لا أحب شراب الكرز، ألا تذكرين؟».

وبدأت الذكرى تندفع عائدة إليها بقوة الطوفان، وفجأة زالت الابتسامة عن وجهها لتتركه شاحباً بائساً:

ـ أو على الأقل لا أعتقد أنني أحبه.

كان عليها أن تبنى كل شيء في حياتها الآن. اسمها، أصدقاؤها، عملها، منزلها، كلها مجرد أشياء بنتها حول نفسها في السنتين الماضيتين؛ عوامل جمعتها معاً لتخلق الشخصية التي تعرفها الآن باسم ايف مونتاغوي، الإنسان الذي بنته من لا شيء منذ اليوم الذي أدخلت فيه إلى عنبر الحوادث حيث تعمل دايان كممرضة مشرفة. وقد طلبت المساعدة لأنها لم تعرف من هي أو من أين أتت.

إنها «الأمنيزيا» أو فقدان الذاكرة نتيجة لمحنة خطيرة. هكذا كان تشخيص الأطباء في النهاية.. لكن أية محنة؟ لم يكن من أثر على جسدها؛ لا أثر يدل على وقعة أو ضربة أو أي حادث مماثل، تسبب بارتجاج الدماغ ومحى لها ذاكرتها. لم يكن معها حقيبة يد، لذا لم يكن معها أية بطاقة، أو رخصة قيادة لتعرّف عنها، ولا شيء في جيوبها سوى بضع محارم ورقية وجنيهان من قطع معدنية صغيرة. كانت أنثى بيضاء البشرة، شقراء الشعر، زرقاء العينين، طولها خمس أقدام وستة إنشات، ولم يتجاوز عمرها الثلاثين عاماً. عدا عن قياسات جسمها وحذائها، كان هذا كل ما تعرفه عن نفسها.

لكن، ظهر الآن رجل يدعى كايل جنسن يدّعي أنها زوجته، ولا بد أنه يعرف الحقيقة عنها، بل في الواقع يعرف عن حياتها وشخصيتها أكثر مما تعرفه هي.

سرت قشعريرة باردة قوية في جسمها؛ ونظرت بعصبية في الغرفة الفارغة من دون أن ترى أثراً لجيم أو لكايل جنسن.

ـ أين.. كايل؟

أجبرت نفسها على النطق بالاسم ولو أنه بدا لها غريباً وبعيداً عنها.. وكان يجب أن تدعوه على هذا النحو، إن كان زوجها كما يدعي.

لكن، ألا يجب أن تشعر بشيء آخر؟ ألا يجب أن يثير اسم الرجل الذي تزوجته ردة فعل معينة فيها؟ لا بد من أنها أحبته لتصبح زوجته. ترى، أتشعر بنوع من التوق إلى التعرف به؟ لِمَ يحدث كل هذا؟ وأدركت حقيقتها المؤلمة. إنها لا تعرف اسمها الحقيقي. أما اسم ايف مونتاغوي فهو مجرد

اختراع من مخيلتها . .

ردت دايان: «إنه في غرفة الطعام يشرب القهوة مع جيم. من الأفضل لك ألا تستيقظي الآن».

ضغطت ايف على يد دايان: «شكراً لك».

ـ وسينتهز جيم فرصة وجودهما معاً ليعلمه بما جرى. ولمعلوماتك، لقد رفض الذهاب واضطررت إلى إخراجه من الغرفة بالقوة.

ابتسمت ايف قليلاً وهي تتخيل المشهد. ففي الدقائق القليلة التي أمضتها معه تمكن كايل جنسن من أن يذهلها. فهو رجل مسيطر، يأخذ القرارات بسرعة ويتصرف وفقاً لها بقوة، رجل ليس معتاداً أبداً على الخضوع لقرارت شخص آخر.

قالت بصوت مرتعش وقد استبد بها الخوف والارتباك كقبضة حديدية باردة تجثو فوقها: «أعتقد أنه من الضروري أن نتحادث».

وافقت دايان برقة: «ستتحدثين إليه في وقت لاحق. لكن انتظري لتكوني أكثر قوة. كما أنه بحاجة إلى بعض الوقت ليستجمع قواه. . لقد أصيب بصدمة مثلك تماماً. على أي حال، لم يكن يعلم أنك لم تتذكريه؛ أنت زوجته و . . .».

ـ أنت تصدقينه إذن؟

ولم تستطع ايف أن تنظر إلى عيني صديقتها وهي تطرح السؤال.

ـ ألم تصدقيه أنت؟

ـ بلى . . لا . . أوه . . أنا لا أعرف! ولا أرى سبباً لادعائه أنه زوجي إذا لم يكن هذا صحيحاً . . أعني، ليس هناك ما يجنيه، فلا مال لدي ولا . .

صمتت فجأة، ثم رفعت عينيها المذهولتين إلى وجه صديقتها . .

ـ أم أن لدي مالاً؟ أوه . . يا الله! لا أعرف! ماذا لو كان يدعي أنني زوجته لأنه يريد مالي؟

قاطعتها دايان: «ايف! لا تتركي خيالك يسرح بك بعيداً . . ليس لديك سبب للتفكير بالأسوأ، فما من دليل. يبقى أمر واحد، لو كان كايل هو

كايل جنسن من دار جنسن للنشر بالفعل، فمن غير المعقول أن يكون راغباً في مال شخص آخر . . فهو يملك الكثير من ماله الخاص».

ـ هذا صحيح.

وتمسكت ايف بطوق النجاة الذي قدمه لها هذا الواقع . . وهمست بصوت متثاقل: «دي . . أنا لا أعرف ما أفعل».

أمسكت صديقتها بيدها، بقبضة دافئة ثابتة أشعرتها بالارتياح والقوة. وقالت بتعقل مثالي:

ـ هناك طريقة واحدة لمواجهة هذا الواقع . . وهي أن تواجهي الأمور، ببطء وثبات . . كما فعلت تماماً منذ سنتين حين كنت تواجهين كل يوم بيومه وتحسنين التكيف. لقد نجحت يومها، وستنجحين الآن . . تذكري فقط أنك لست وحدك، فنحن ندعمك. وكايل أيضاً.

لكن، هل كايل صديق أم عدو؟ لم تلاحظ دايان الغضب الذي تملّكه، أو تسمع العنف المكبوت في صوته حين واجهها أول مرة عند الباب الأمامي . . ولم تستطع ايف أن تخبر المرأة الأكبر سناً بهذا . . ولو فعلت ذلك فستذهب صديقتها على الأرجح رأساً إلى زوجها وتطلب منه أن يطرد كايل جنسن فوراً من المنزل . . هذا إذا كان بمقدور أحد أن يطرده جسدياً.

لكن، لو رحل كايل، فسيأخذ معه أملها الوحيد في معرفة نفسها. وهذا ما لا يمكنها التخلي عنه بسهولة. لا يمكن لشخص أن يفهم كيف تشعر الآن إلا إن عاش مثلما عاشت هي بثقب أسود في مكان ما في الذاكرة . . وها هي تجد نفسها الآن على عتبة إعادة اكتشاف تلك السنوات المفقودة . . لقد عاشت لما يقارب الأربعة وعشرين شهراً دون أن تعرف ما هو اسمها الحقيقي، وأين ولدت، وكم عمرها، وهل لها أبوان، أو أشقاء، أو شقيقات أو أصدقاء . . أو زوج. وخفق قلبها بألم.

عبرت على وجهها ابتسامة ساخرة وهي تلتفت إلى دايان . . وبشيء من المرح القاتم في صوتها، قالت ببطء: «أقر بأنه من الممكن أن أكون متزوجة».

رفعت يديها إلى وجهها لتغطي عينيها، وكأنها تريد أن تبعد ذكرى

الأيام التي تخشاها.

- أوه.. يا إلهي.. دي. لقد أمضيت وقتاً طويلاً والقلق يعتصرني لمجرد التفكير بأنه في مكان ما.. والله فقط يعرف أين.. عائلة تهتم بأمري، ويتملكها اليأس لأنني مفقودة.. وقد مرت علي أوقات أشد سوءاً، حين كنت أخشى ألا تكون لي عائلة على الاطلاق.. وأنه ما من أحد يهتم لأمري أو يبحث عني. ومع مرور الوقت، لم أجد دليلاً ملموساً يساعدني على اكتشاف هويتي.

ووضعت يديها على حجرها.. تلتويان معاً بكرب موجع. وأكملت: «على الأقل، أعرف الآن، أن...».

كم من الصعب التلفظ باسمه. مع ذلك، وبكل تأكيد، لا بد أنها تفوهت باسمه مئات المرات يومياً، في يوم ما.

- .. أن كايل هو أميركي، مما يفسر لماذا لم نسمع بأحد يبحث عني.

وكشف صوتها المتقطع مدى الألم الذي كان ينتابها.

- إذا كان يعيش في أميركا، وأنا إنكليزية، على الأقل هذا ما أعتقده، إذ ليس لدي لكنة على الأقل.. كيف إذن وجدت نفسي أتجول في لندن و...؟

قاطعتها دايان بلطف: «هذه أسئلة يجب أن تطرحيها عليه حبي.. لكنه بات واضحاً أنه أمضى ردحاً طويلاً من الوقت في لندن.. فمؤسسة جنسن للنشر تملك مكاتب هنا على أي حال، وهذا يفسر سبب التقائه بك.. وهو أمر مذهل.. أليس كذلك؟».

تابعت وقد بدت عيناها مستغرقتين في التفكير: «لا بد أن في الأمر أكثر من صدفة بحيث أنك ومن بين.. مئات الناشرين المنشورة أسمائهم في الدليل، اخترت «جنسن» لترسلي قصتك إليهم. بالتأكيد، هذا يُظهر أن ذاكرتك لم تفقد إلى الأبد، بل إنها لا تزال موجودة.. مدفونة مؤقتاً، تنتظر منك أن تنبشيها مرة أخرى.. ربما الآن، مع مساعدة كايل، ستعود إلى الظهور، جيدة وكأنها جديدة».

وتمنت ايف في سرّها لو يحصل هذا على الفور، وبأسرع وقت ممكن..

ومن الأفضل أن يحصل ذلك قبل أن تضطر إلى مواجهة كايل مرة أخرى. كيف ستتمكن من مقابلة رجل يقول إنه زوجها.. وإنهما عاشا معاً ما يقارب ثلاث سنوات.. لكنه الآن رجل غريب، لا يعني لها أكثر مما يعنيه أي رجل مر بها في الشارع، لن تستطيع أن تتخيل هذا! ترددت هذه الصرخة البائسة في رأسها، وأوشك قلبها أن يتوقف ذعراً لمجرد التفكير بمواجهة كايل، ثم عاد يخفق بسرعة مؤلمة.

لن تستطيع مواجهته.. ولا تريد ذلك، لكنها مضطرة.

بجهد وتصميم، استجمعت كل قواها الداخلية، وجلست مستقيمة، تفرد كتفيها، وتأخذ نفساً عميقاً غير سوي.

قالت: «أعتقد أنني سأرى كايل الآن».

فوجئت بصوتها أقوى بكثير، وأكثر حزماً من ذي قبل..

قطبت دايان بقلق: «هل أنت واثقة؟».

- أجل، أنا واثقة، يجب أن أراه في وقت ما دي.. من الأفضل مواجهته على الفور.. وإلا فقد يزداد سوءاً.

من تحاول أن تقنع.. دايان أم نفسها؟ تساءلت عن هذا وهي تسمع لهجتها المغالية في الإشفاق فتفضح الجهد الشاق الذي بذلته حتى تتكلم.. وتوسلت لصديقتها في أعماقها وكأنها ترجوها ألا تحاول صرفها عن قرارها. فإذا تراجعت الآن، قد لا تملك الجرأة لتقدم على ذلك مرة أخرى.

- حسناً.

كالعادة، كانت دايان تراعي حاجات صديقتها، ولو أن كلمتها الأخيرة والعبوس الذي لم يفارق جبينها، دلاّ على بعض الشكوك الباقية:

- هل تريديني أن أبقى في الغرفة معك.. أو ربما تريدين جيم؟

أغمضت ايف عينيها وهي تقاوم الاندفاع الجبان لتقول نعم، أرجوك، أرجوك ابقي معي.. ساعديني. لكنها أسكتت هذه الأفكار فوراً..

بلهجة تردد صدى قناعة داخلية، قالت بصوت يكاد يرتجف: «لا.. شكراً.. لكن.. دي..».

ـ سنكون في الغرفة المجاورة حبيبتي.. وما عليك سوى أن تنادينا باسمينا وسندخل راكضين.

ونهضت وهي تبتسم لأيف.

ـ سيكون كل شيء على ما يرام ايف، حبي. أنا واثقة من هذا.

وطبعت قبلة دافئة على خد صديقتها الشاحب.

ـ سأرسله إليك.

كانت ايف وحدها في الغرفة. استلقت جامدة للحظات تستعيد كلام صديقتها «ايف حبي» واللهجة التي قيلت فيها، ايف حبي.. ايف.. إلى كم من الوقت سيبقى هذا اسمها؟ قد يقول لها كايل إن لديها اسم آخر.. ستيفاني أو بيلندا.. واستبعدت هذه الفكرة.. لقد اعتادت على ايف الآن، وأي اسم آخر سيبدو غريباً.

لكن كايل استخدم هذا الاسم: ايف، وكأنه مقتنع به. هل من الممكن أن تكون هذه إحدى المصادفات الغريبة، تماماً كما اختارت هي اسم جنسن كمؤسسة النشر التي سترسل لها مؤلفها؟

لقد لاحظ المرشد في صف «الكتابة الإبداعية» الذي تحضره منذ أيلول الماضي، إنها توازن خياراتها بعناية. وأخذت بعين الاعتبار أنواع الكتب التي نشرتها تلك المؤسسة، وقارنتها بعملها. لكنها الآن تواجه الوقائع بصراحة فجة، كما تتطلبها الظروف منها، لقد أبعدت من ذهنها الناشرين الذين ينشرون الكتب الواقعية أو قصص الأطفال فقط.. وقامت بالقرار النهائي بقلبها لا بعقلها، من دون تفسير، منجذبة إلى اسم جنسن تلقائياً.

إذن، أكان لهذا الإسم صدى غامض غير محدد، أيقظ ذاكرة ليست ضائعة بل نائمة فقط، كما أشارت دايان؟ على أي حال، لا بد أن اسمها كان جنسن في يوم من الأيام، وهذا يفسر لهجة كايل التهكمية حيث خاطبها باسم مونتاغوي.

ارتج قلبها من الخوف، سيدخل كايل هذه الغرفة في أية دقيقة. وسمعت همهمة الأصوات من غرفة الطعام.

اجتاحتها موجة ردة فعل أنثوية. لا بد أن مظهرها مرعب!.. ها هي، على وشك أن تواجه زوجها بعد فراق.. دام كم من الوقت؟ سنتين؟ أكثر؟ لا شك في أنها في حالة مزرية تماماً.

أنزلت قدميها إلى الأرض.. ثم أخذت حقيبة يدها وفتشت فيها عن مرآة، وما لبثت أن تنهدت حين أطبقت يدها عليها، لكن تلك التنهيدة استحالت شهقة حين رأت صورتها. كان شعرها مشعثاً تتبعثر خصلاته على وجهها، ولا أثر للون على خديها. وقد رسمت الدموع التي ذرفتها خطوط كحل حول عينيها، فحولت الصدمة لونهما إلى لون داكن.

يا له من منظر رهيب! بسرعة أخرجت مشطها وعلبة تبرج صغيرة، وبدأت بالتصليحات الضرورية.. وفيما هي منكبة على ما تفعل، انفتح الباب بهدوء ثم أغلق مرة أخرى. فقفزت كالقطة المذعورة، لتتطاير مساحيق التجميل في كل اتجاه، لا سيما حين تفوه صوت ناعم باسمها. فاستدارت بسرعة.

كان كايل يقف في الطرف الآخر من الغرفة مستنداً إلى الجدار. وقد أراح ذراعيه على صدره، فبدا شديد السمرة، مثيراً للاضطراب.

ـ مر.. مرحباً..

كم مضى عليه واقفاً هكذا، يراقبها بصمت؟ لا بد أنه شاهد ما كانت تفعل.. تهتم بمظهرها. وإذا كان الأمر هكذا، هل رأى فيه تفاهة أنثوية صرفة، أم ظن أنها امرأة تتجمل أمام زوجها؟ ولم تتمكن ايف من السيطرة على رجفة هزت جسدها.

ـ مرحباً..

رد كايل تحيتها الفاترة، وأحست أنها فعلاً تحاول أن تتجمل للرجل الذي يدعي أنه زوجها. وصدمتها تلك الفكرة إلى درجة عجزت فيها عن الكلام.

ساد الصمت بينهما وطال حتى أحست ايف أنها ستصرخ إذا لم ينكسر حبل الصمت بسرعة. فسألها: «كيف تشعرين الآن؟».

لم يكن صوته ودياً، بل مكبوتاً وبارداً كالجليد، لا أثر للعاطفة فيه.

ردت بارتباك: «أوه.. أفضل بكثير».

وتساءلت هل تمتع كايل باحتساء قهوته مع جيم.. إنه زوجها ومع ذلك لا تعرف أي مشروب يحب! كانت تلك الفكرة مدمرة بحيث سارعت إلى الكلام: «صدقني.. أنا لا أصاب عادة بالإغماء».

قال بنعومة: «فقط حين يظهر زوجك الذي أضعته منذ زمن بعيد، على عتبة الباب، من دون سابق إنذار».

ردت بلمسة خشنة: «وحين لا أتذكر من هو».

أبعد نفسه عن الجدار: «آه.. أجل.. لقد أخبرني جيم عن هذا».

بدا وكأنه لم يصدق كلمة من الرجل الآخر. أدركت ايف هذا والذعر يتملكها.. أيعتقد أنها تدعي.. وأنها اخترعت القصة كلها؟

ـ ماذا قال؟

كان سؤالها مجرد همس أجش، وقد خانها صوتها تماماً لا سيما حين تحرك كايل نحوها.

ـ أوه.. مجرد وقائع أساسية..

أمام ذهول ايف الكامل، ركع كايل أمام قدميها. وبعد ثوان، ارتبكت مذعورة، ومع عودتها إلى التركيز، أدركت أنه كان يستعيد أحمر الشفاه وقلم الكحل عن الأرض.

ـ هاك..

رماهما بعفوية في حجرها، فيما هي لا تستطيع إبعاد عينيها عن يديه. فتسمرت عيناها المتسعتان على أصابعه الطويلة، وكفيه العريضتين ومعصميه القويين اللذين كشف عنهما قميصه الأبيض الناصع.

كايل زوجها. وتردد صدى الكلمات في رأسها، إلى أن أصبحت مثل زوبعة رعدية عنيفة. إنه زوجها.. ولأجل هذا، يجب أن تعرف هاتين اليدين كما تعرف يديها. وبدا أن أفكارها بلغت حداً بعيداً.. إذ كان كايل يتكلم من دون أن تعي حرفاً.

سألت متلعثمة: «عف.. عفواً؟».

رد كايل بلطف: «قلت.. هل هذا كل شيء؟».

لكن عينيه كانتا حادتين كالسكين، فشعرت ايف أنه يخترقها ليصل إلى أفكارها. وبدا لها أن الوقت يمر ببطء، فأجبرت نفسها على النظر إلى أدوات التبرج في حجرها.

ـ أجل.. أجل..

كانت ستقول هذا على أي حال.. ولو لم يكن صحيحاً. أرادت أن تتفوه بأي شيء لتدفعه إلى الوقوف على قدميه.. فركوعه على هذا النحو كفيل بأن يقضي على كل ما تبقى لها من رباطة جأشها.

حاولت مجدداً بحزم أكبر: «أجل.. هذا كل شيء».

من دون كلمة أخرى، وقف كايل بحركة رشيقة واحدة واختفى في المطبخ للحظة، ليعود ومعه كوب ماء مده إليها، وبصمت تام.

بعينين متسعتين هزت ايف رأسها شاكرة قبل أن تأخذ جرعة عميقة من السائل البارد، ثم أغمضت عينيها شاكرة فيما الماء يطفىء التوتر في حلقها.

قال كايل بهدوء: «لعلك ترغبين في سرد روايتك من وجهة نظرك».

وانفتحت عينا ايف بسرعة، فشاهدته ينتقل ليجلس على مقعد قبالتها، ويستند إلى ظهره المغطى بالقماش. بدا مرتاحاً فيما وضع إحدى ساقيه فوق الأخرى بطريقة عفوية.

أحست بسخط متردد لسؤاله، فرددت: «روايتي؟».

للحظة بدا أن صبره يكاد ينفد، لكنه كبت ذلك بسرعة وراح يسألها عن نفسها.

ـ قولي لي فقط ماذا حدث.

لم يكن في لهجته تهديد ما، ولو من بعيد، ولا أثر للعدوانية على وجهه. بدا جسمه الطويل مسترخياً تماماً.. لكن ايف أحست أنها تقف في قفص الاتهام، تواجه قاضياً معادياً ينوي إعلان الحكم عليها.

قال كايل بحثها، فيما سخريته اللاذعة تخترق أفكارها:

ـ البداية في العادة أفضل الطرق للانطلاق في السرد.

بدأت ايف باضطراب:

ـ حسن جداً.. لست أملك الكثير لأقوله حقاً.. لا أعرف ولا أذكر شيئاً، إلا أنني وجدت نفسي جالسة في مقهى قرب مخزن بيع في شارع أوكسفورد. وحين حققت الشرطة فيما بعد، قالت إحدى الساقيات إنني بقيت هناك لأكثر من ساعة.. لكنني لا أستطيع أن أتذكر حتى هذا. كان أمامي فنجان قهوة بارد وشطيرة جبن وحبة طماطم نصف مأكولة.

التوى فم ايف بألم لهذه الذكرى. كم كانت هذه التفاصيل الصغيرة مهمة لها.. مهمة لأنها على الأقل أجزاء مبعثرة تستطيع إضافتها إلى مجموعة الوقائع المثيرة للإشفاق، وهي كل ما تعرفه عن نفسها.

واتجهت نظرتها إلى كايل. كان يجلس بصمت قبالتها، ووجهه خال من أي تعبير. وقد ضم يديه وأسند مرفقيه على ذراعي المقعد، وهو يصغي باهتمام.. ويركّز بقوة على كل كلمة تقولها.

ـ كان.. ذلك مثل.. مثل الاستيقاظ من نوم عميق منذ مدة طويلة..

وكان هذا صعباً عليها.. أصعب مما كان في البداية. فلما أخبرت طبيب الحالات الطارئة، متلعثمة مترددة، القصة ذاتها، تعاطف الطبيب معها، وراح يساعدها، ويسألها أسئلة يمكن أن تفيدها، ويشجعها. لكنها الآن لا تعرف مشاعر كايل.. وصمته المتحجر لا يبدي شيئاً.. صمت، لا يمكن بكل تأكيد وصفه بالمشجع.

ـ لكن المرء متى استيقظ، ومن أثقل نوم ممكن، يعرف بعد ثانيتين أين هو، ومن هو، وأي يوم من الأسبوع هو فيه..

رجّع صوت ايف صدى اليأس والذعر الذين أحست بهما ذلك اليوم.. وأكملت:

ـ.. بالنسبة لي.. بدا الأمر بمثابة ورقة بيضاء.. لا شيء..

مرة أخرى، خاطرت بنظرة إلى الجسد القاتم قبالتها، تحاول أن تقيس ردة فعله.. لكن عينيه المركزتين عميقاً في وجهه، ظلتا متحجرتين لا يمكن

النفاذ من خلالهما..

ـ أنا.. ذعرت.. وركضت عبر المخزن لأخرج إلى الشارع.. أتطلع.. أفتش.. عن شيء.. أي شيء.. مهما كان صغيراً.. يمكن أن يعطيني فكرة عما يحدث.. لم أعرف حتى في أي مدينة أنا.. أخيراً سألت رجل الشرطة عن كل هذا.

ضحكة ايف كانت مهزوزة.. ارتسم الماضي من جديد على وجهها.. بدت عيناها قاتمتين وكأنهما كدمتان فوق خدين بلا لون.

وأكملت: «لا بد أنه ظنني غريبة.. أين أنا؟ أي يوم هذا؟ وكان أول من اقترح عليّ أن أذهب إلى مستشفى».

وهنا صدرت حركة مفاجئة عنيفة من كايل فصمتت فجأة.. ولأول مرة منذ بدأت سرد روايتها، ظهر عليه نوع من ردة الفعل، فأنزل يديه عن ذراعي المقعد، وجلس مستوياً.

سأل بحدة: «متى حصل هذا بالضبط؟».

وما همه ذلك؟

ـ في العاشر من شهر أيار، منذ أقل من سنتين بقليل.

كان التاريخ محفوراً في رأسها بحروف من نار، فهو على أي حال، التاريخ الذي بدأ فيه وجودها. اختلست نظرة أخرى إلى وجه كايل، فالتقطت تعبيراً آخر في عينيه.. كانت نظرة تركيز وكأنه يفكر بشيء قديم.. ويحاول استعادة ذكراه.

سألت مترددة: «هل للتاريخ ميزة خاصة؟».

لكن الوجه المتحجر، والنظرة الكتومة في عينيه عادت.. وقال آمراً: «هيا.. تابعي».

للحظة فكرت ايف بالتمرد، لكنها عدلت عن تفكيرها. فكايل لن يتسامح. إضافة إلى هذا، إنها تريد أن تنتهي من قصة العاشر من أيار. لم تكن تدرك كم سيكلفها الكشف عنها من مشقة.. خاصة في هذه الظروف المشحونة عاطفياً.

ـ أنا.. هربت راكضة من رجل الشرطة.. كنت مقتنعة أن كل هذا كان حلماً سيئاً.. مجرد انحراف عقلي مؤقت.. وأنني في النهاية سأعود إلى حالتي الطبيعية، فسرت. وسرت، وسرت، لأميال، من دون أن أهتم بوجهتي. كنت أسير وأدعو الله أن أتعرف إلى أي شيء وأن أجد المفتاح لأفكاري وذكرياتي.

تصاعدت الدموع إلى عيني ايف وهي تجبر نفسها على استعادة الذكريات الرهيبة. وزاد من تفاقم توترها، طريقة كايل في الجلوس. ظل هناك دون حراك وكأنه منحوت من حجر..

ـ مرت خمس ساعات أو أكثر ربما.. وكانت الساعة قد تجاوزت السابعة، وبدأت الدنيا تظلم، حين عرفت أنني لن أستطيع الاستمرار وحيدة.. ولحسن الحظ، بعد بضع دقائق، وصلت إلى مدخل مستشفى.. ولم أكن أعرف أي مكان آخر ألجأ إليه.. فدخلت إلى قسم الطوارىء.

وهناك، بدأ حظها يتحسن نحو الأفضل. ففي تلك المستشفى التقت دايان.. ممرضة مشرقة دافئة القلب، محبة كالأم، رعتها، وأرشدتها، ودعمتها، خلال الاستجواب، والفحص الطبي، والوقت الذي أمضته في المستشفى، وزيارات الشرطة والعاملين الاجتماعيين، وحتماً، علماء النفس، وكلهم منكب على اكتشاف هويتها، أو على الأخص، لماذا نسيت اسمها. حتى أنهم جربوا التنويم المغناطيسي في محاولة لإعادتها إلى الزمن الماضي. لكن كل هذا كذلك لم ينجح أيضاً. أخيراً، وصلوا إلى حائط مسدود، فعرضت عليها دايان الإقامة مع زوجها وابنتيها التوأم في منزلها، وأن تكون عائلة دايان بديلة لعائلتها.

وأنهت كلامها:

ـ هكذا جئت لأعيش هنا.. وبعد فترة حصلت على عمل في المكتبة المحلية.. كبائعة مبتدئة. صحيح أن المرتب ليس جيداً جداً، لكنه على الأقل يعني أنني قادرة على المساهمة في ميزانية البيت. على أي حال.. لم أكن أملك فكرة هي عن مؤهلاتي الحقيقية.

مرة أخرى أدارت نظرة تساؤل نحو كايل، لكنه سؤال، كغيره، مرّ دون رد.

ـ و.. هذا كل شيء تقريباً..

خرجت منها الكلمات متلعثمة الآن، وأحست برأسها يتثاقل، وهبطت كتفاها إرهاقاً. فجلست منهكة في مقعدها وهي تنتظر رده.. صمت مطبق.. لو أنه فقط يقول شيئاً.. أي شيء!

ـ هذا كل ما باستطاعتي قوله!

أخيراً تحرك كايل، يدفع يده عبر شعره الأسود الناعم، وقد ركّز نظرته العابسة على السجادة. وكما من قبل، أحست ايف أنها تستطيع أن تسمع أفكاره وهو يزن كل ما قالته له.. وحين اقشعر بدنها بألم وتوتر، التفتت العينان القاتمتان إلى وجهها.

قال فجأة: «سؤال واحد فقط..».

ـ نعم؟

ـ لماذا «مونتاغوي»؟

في البداية، لم تفهم ايف سؤاله.

سأل كايل بخشونة: «اسم العائلة.. الذي تستخدمينه الآن».

لأول مرة، أزالت ضحكة خفيفة التوتر من صوتها:

ـ أوه.. هذا أمر سهل.. فالعنبر الذي كنت فيه في المستشفى، حيث بقيت للأسبوعين الأولين، يسمى «عنبر مونتاغوي».

ولأنها خرجت من هناك لتبدأ حياتها الجديدة، وكأنها طفلة ولدت من جديد، لتغادر عنبر الأمومة، اتخذت اللقب اسماً لها.

تمتم كايل ببطء: «فهمت.. و«ايف»؟».

أحست بنبرة غريبة في صوته فثارت أعصابها لا سيما أنه عاد إلى مستوى المدّعي عليه والجلاد مجدداً.

انفجرت ساخطة: «لماذا تطرح كل هذه الأسئلة؟».

واشتعلت نار الغضب والتحدي في عينيها.

ـ ألا تعتقدين أنه يحق لي ذلك؟

اشتعل جنون ايف أكثر فأكثر، فتعبير كايل البارد المتسائل، والطريقة التي ارتفع فيها حاجبه الأسود، ذكرها أنه لا يصدق كلمة قالتها.

ـ لا.. لا أظن أن لك أي حق أبداً.. ليس دون دليل.. تقول إنك زوجي.. لكن كيف أعرف بحق الجحيم أنك تقول الحقيقة؟ قد تحاول توجيهي لأغراضك الخاصة. عليك أن تثبت لي أنك حقاً من تدعي! لأنني سأقول لك شيئاً سيد كايل جنسن العظيم المقام.. لن أرد على أي سؤال آخر حتى تبرهن ادعائك!

***

٣ ـ أتذكرين؟

ـ ما هو البرهان الذي يدل على أنك فعلاً هذا الشخص الذي تدعيه؟

ما إن انفجرت ايف هكذا حتى خيم صمت شعرتْ أثناءه وكأن كلماتها الغاضبة انعكست ألسنة من النار في عينيه.

للحظة طويلة متوترة، تلاقت نظراتهما. بان التمرد والتحدي في نظرتها، ولو أن داخلها كان يتلوى في عقد شديدة.. ولم يزل ذلك الهدوء الأسود في نظرته، لكنه اختلط هذه المرة بشيء آخر، شيء رأته على وجهه من قبل، حين تكلم إليها أول مرة عند الباب الأمامي.. ولم تفهمه حينها، كما لا تفهمه الآن.

أخيراً تحرك كايل، قاضياً على حديث العينين فجأة. فحول نظره إلى يديه للحظة. ذهلت وهي تتبع نظراته وترى الأصابع القوية التي كانت مسترخية في حجره، تنقبض في شدة.. لكن ذلك كان كل ما سمح لها كايل أن تراه، قبل أن يمد يده إلى جيبه ويخرج محفظته!.

قال يتشدق بسخرية: «في الواقع أنا لا أحمل الوثائق القانونية المطلوبة معي.. على أي حال، لا يُطلب مني كل يوم أن أثبت شيئاً كهذا.. لكن، بالنسبة لعلاقتنا، ربما هذه تساعد..».

وكما كانت ايف تتوقع، أخرج صورة من المحفظة، ومدّها إليها. قامت بجهد وتحركت قليلاً من مقعدها كي تصل إليها... وحين توقفت، لم يتحرك بدوره، بل جلس صامتاً مرة أخرى، ينتظر.

ألفت ايف نفسها فجأة وقد شلّها الذعر عن الحركة.. وحدقت في

الصورة الممدودة إليها بسخرية. وكل ما استطاعت أن تفكر فيه، هو صورة فأر أمام قطعة جبن شهية في فخ سام قاتل.

لو أخذت الصورة، فلن يكون من تراجع.. ولو كانت صورتها، كما لا بد من أن تكون، فلن يكون من مجال لإنكار علاقتها بكايل.. علاقة لا تعرف شيئاً عنها. قد تكون هذه الصورة مناسبة سعيدة تتيح لها أن تشعر بروعة التحرر. وها هي الآن على وشك أن تكتشف هذه الحقيقة، لكن كل ما تحس به هو إحساس قوي بالرعب.

قال كايل: «ايف..».

أدارت النعومة في صوته عينيها المتورمتين المذهولتين إلى عينيه مرة أخرى، وأحست أنها قد تغرق في لونهما الأبنوسي إلى الأعماق.

ـ هذه هي.. خذي الصورة...

وبالرغم من هدوء صوته، ولهجته اللطيفة، عرفت ايف لا شعورياً، أن تجاهل طلبه سوف يتسبب بردة فعل رهيبة.

وكأنها في غيبوبة ملؤها النشوة، مدت يدها. وبحركة خفيفة أرخى قبضته عن الصورة ليتركها تقع في راحة يدها.

ـ انظري إليها الآن.

غشيت عينا ايف بعد إلقائهما أول نظرة على الصورة، فلم تستطع أن تركّز عليها لا سيما أن الرجفة أخذت تسري فيها.. وبمقاومة جاهدة، فرضت على نفسها درجة كبيرة من السيطرة، وحاولت النظر مجدداً.

كانت الصورة لاثنين.. رجل وامرأة.. وجه الرجل هو الذي برز أولاً لكنها ألفت نفسها عاجزة عن استجماع الشجاعة لتنظر إلى المرأة، أو إليها.. إنه كايل، مع ذلك لم يكن الرجل ذاته الذي يجلس قبالتها الآن، كان أصغر سناً بالطبع.. لكن فارق الزمن بدا وكأنه أكبر من هذه السنوات القصيرة.

وصُدِمتْ ايف لفكرة مروعة خطرت على بالها، فدار رأسها وهي ترفع نظرها، وتفكر بكايل كما هو الآن ثم تقارن الصورة بالحقيقة.

أوه.. يا الله! هل كانت خسارة زوجته سبباً لكل هذا التغيير؟ هل رسم اختفاؤها كل هذه الخطوط حول عينيه وفمه، وشد عضلات فكه، حتى بات رجلاً مغايراً لصورته، إذ يبدو لها الآن أنه نادراً ما يضحك!.. هل غيرته سنتان من.. ماذا؟ الوحدة؟ اليأس؟ من رجل سعيد مرتاح كما في الصورة، إلى مخلوق مبالغ في تصلبه كالذي أمامها؟ لا تستطيع أن تتحمل التفكير بمثل هذه الوقائع أكثر من هذا..

استجمعت آخر مصادر قوتها، وأجبرت نفسها على النظر مرة أخرى إلى الصورة. توجهت هذه المرة إلى وجه المرأة، وما لبثت أن شهقت عالياً مع التقاء عينيها بعيني الفتاة في الصورة.. لم يعد لديها أدنى شك الآن أن كايل كان يقول لها الحقيقة.

كما الحال مع كايل، بدا فرق حاد لكن مميز بين هذه الصورة والوجه الذي تراه كل صباح في المرآة.. لم يكن الفارق يكمن في المزاج فقط. فايف التي في الصورة، تفور بهجة بالحياة. لكن سكيناً يلوي في أعماق ايف الأخرى. وهي تعترف أنها، وفي السنتين الماضيتين على الأقل، لم تختبر مثل هذا الفرح..

وفي الصورة، ظهرت ايف أصغر سناً. بدا شعرها أكثر وضوحاً.. الخصل الشقراء مسرّحة بطريقة جميلة على شكل تاج لماع فوق وجهها المستدير كالقلب.. وقد انسدل شعرها على كتفيها. وبدت الثياب هي الأخرى مختلفة جداً. كانت ثياباً ممهورة بتطريز مميز وقماش غالي الثمن يعكس الثراء الفاحش الذي كانت تتمتع به دون شك.. لكن الفارق الأبرز كان في عينيها.. كانتا صافيتين براقتين، لونهما البنفسجي الأزرق القاتم يخلو تماماً من النظرة الضائعة التي تظللهما الآن، حتى في أفضل أيامها.

كان الاثنان في الصورة، يقفان متلاصقين، ذراع الرجل، بل ذراع كايل، كما قالت لنفسها بردة فعل مرتجفة، تحيط بفتاته. تلفظت بتلك الكلمة وكأنها واقع ترفضه.. فهي لا تزال عاجزة عن التفكير بالمرأة في الصورة. فهذا التقارب بين جسميهما، والتصاقها به، إضافة إلى يدها

المرفوعة إلى خده، كل هذا كان يشهد على حميمية لا تظهر إلا عند المعرفة العميقة للإنسان الآخر في ظل حب ينعم عليهما بالأمان.

قال كايل بذلك الصوت الناعم المنخفض الخطير: «ايف؟».

وعرفت ايف أنه بالرغم من صبره، وصمته الهادىء، لن يقوى على الانتظار إلى الأبد.. كان ينتظر رداً، عجزت هي عن تسليمه.

وسرعان ما حرقت دموع مريرة عينيها، وغشّت بصرها. ومن دون وعي منها شدت أصابعها على الصورة التي تمسكها وهي تقاوم لترد الدموع.. هذه الصورة لها.. من زمن ما في ماضيها، تجربة عاشتها، وتمتعت بها كثيراً، كما بدا بوضوح على وجه الفتاة.. مع ذلك لم تعن لها شيئاً، مهما حاولت بقوة، وفتشت في الزوايا المظلمة لأفكارها، أملاً في أن تجد ذكرى مدفونة. منيت بخيبة مريرة.. كانت تنظر إلى الصورة كما تنظر إلى صورة غريبين.

لكنها لا تستطيع أن تتذكر.. العزلة، السواد، الثقب المفتوح الفارغ في داخلها، كل ذلك يؤلمها إلى درجةٍ أطلقت فيها الدموع الحارقة، وتركت عذابها يتفجر ببساطة.

قال كايل مجدداً، بصوت مترنم مختلف هذه المرة: «ايف!».

ثم تحرك من مكانه ونهض عن مقعده ليجلس إلى جانبها على الأريكة. وانتزع الصورة من أصابعها برفق، ثم ضمّها بين ذراعين قويين إلى جسمه، وبطريقة لا شعورية كما الولد الصغير يسعى إلى الارتياح، أدارت ايف وجهها إلى صدره وأخذت تبكي.

وضمها كايل ببساطة، من دون أن ينبس ببنت شفة، ودون أن يقدم على حركة. أحس أنها تلقت كل ما تستطيع تحمله في اللحظة الحاضرة.. وأن ذلك الصمت هو كل ما تحتاج إليه.. لكن ذراعيه شكلتا قوقعة دافئة تحميها، فضمها بأمان إلى أن خف أول اندفاع لحزنها، وخفت النحيب إلى تنهدات صغيرة.. عندها تكلم.

سألها بهدوء: «أأنت أفضل حالاً الآن؟».

تمكنت ايف من هز رأسها وتمتمت وهي تختبىء في قميصه: «شكراً لك».

حدث التغيير وهي تتكلم، فشعرت بامتنان عميق لأنها أخفت وجهها عن العينين البنيتين العميقتين، فلم تستطيعا رؤية الدفء يتدفق إلى خديها.

كان من المستحيل ألا يقشعر جسمها وهي بين ذراعيه وقد أحست بقوة ساعديه اللذين يتمسكان بها، وبصدره الذي ترتاح إليه، وبخفقات قلبه التي تشبه ضربات الأمواج في أذنيها.. استطاعت أن تشم رائحة جسمه، أشبه بمزيج جذاب من الدفء، والعطر، ورائحة مسك لطيفة. كان عبيراً قوياً جداً.. تنفست بعمق، فبعث فيها تأثير مُسكر اندفع مباشرة إلى عروقها ومن هناك تدفق بسرعة إلى ما تبقى من جسمها، فدار رأسها، وتسارعت نبضات قلبها..

دنت منه أكثر، وعلى الفور أحست بتبدل في تنفسه، وبتسارع يماثل سرعة خفقات قلبها.

ـ ايف!

هذه المرة كان اسمها شهقة مرتجفة، امتزج فيها الاحتجاج والصدمة والإنكار، إضافة إلى نوع من السعادة الخفية.

ـ بالله عليك.. ايف!

في برهة من الزمن، اختفى كايل جنسن، رجل المدينة، رجل الأعمال المتمدن والبارد والرابط الجأش الذي رأته حتى الآن.. وكأنه احترق بنار داخلية هائلة هادرة مدمرة، كالنار في الهشيم.. ومرة أخرى، عاد الرجل القاسي المثير للاضطراب، الذي واجهها عند الباب.

لكن الإحساس الذي تملكه هذه المرة لم يكن الغضب، بل الحب المشبوب، فانسلت أصابعه القوية إلى ذقنها، ورفع وجهها إليه. وهنا عرفت ايف أنه يعكس شعورها بالتحديد.. إحساس حار لاذع كان يحوّل دمها إلى مياه حارقة، تسري في عروقها.

لم تعد ايف قادرة على التنفس.. كان جسمها كله يرتجف بعنف..

وانقلبت الحرارة في عروقها إلى أتون مستعر، وشعرت أنها يائسة، لا تستطيع التحكم بنفسها..

همس كايل: «هل رأيت؟ أنت تتذكرين! أنت تعرفيني.. جسمك يعرفني!».

أنت تتذكرين حقاً! لو أنه غرز سكيناً في قلبها، لما استطاع أن يعيدها إلى الواقع بسرعة أكبر، أو بألم أكثر. بصرخة ملؤها الذهول واليأس، انتزعت ايف نفسها بعيداً عن كايل. وراحت تدفعه بعيداً عنها.

ـ لا أستطيع!

كانت هذه آهة عذاب.. رددت صدى الإحباط الذي اجتاح جسمها..

ـ لا أستطيع.. لا أستطيع.

كررت الجملة يائسة.. ثم غطت وجهها بيديها كي لا ترى الغضب الذي يشتعل في عينيه.

ـ أنا لا أعرفك!.. لا أستطيع!.. أنا لا أعرفك!

من بين أصابعها المرتجفة، سمعت أنفاس كايل المتحشرجة تبطىء بالتدريج ثم تزداد ثباتاً، وأخيراً تناهت إليها التنهيدة العميقة الخشنة التي سيطر فيها أخيراً على نفسه.. لكن صوته كان لا يزال خشناً وحافلاً بمشاعر لم يكد يخفيها حين تكلم أخيراً.

قال: «حسناً ايف.. لن ألمسك مرة أخرى حتى تكوني مستعدة، أعدك».

لم تكن لتصدق أن أفكارها يمكن أن تبلغ حداً أكبر من الضياع. لكنها لم تستطع أن تتحمل الطريقة التي تصرفت بها للتو. فقد شعرت بأنها على حافة الجنون إذ كيف تتصرف على هذا النحو مع رجل غريب تماماً عنها.

لكن كايل كان غريباً، ولم يكن. لقد كان.. ولا يزال.. زوجها.. ومن الواضح أنهما ارتبطا بعلاقة حب.. وكانت الصورة خير دليل على ذلك، ووفق قوانين الطبيعة والمجتمع، من المفترض بالزوجة أن تبادل

زوجها حبه. لكن كايل غريب عنها! وهو مثله مثل أي رجل يدخل إلى المكتبة حيث تعمل..

بعث هذا الذعر فيها، فأجفلت. مع ذلك، فقد تجدد فيها الشوق إليه حين وعد أن يتركها ويمنحها الوقت. فبدون دفئه إلى جانبها، شعرت بالبرودة والحرمان في داخلها.. وأرادته أن يعود. مع ذلك ذعرت من مجرد الفكرة. أحست ايف وكأنها فوق أرجوحة، تدور دونما سيطرة، ولا تعرف كيف تتعامل مع التغييرات التي قلبت عالمها رأساً على عقب.

همست: «أنا خائفة!».

كانت الكلمات حافلة بتأثر تسلل إلى أصابعها.. وسمعت تنفس كايل الحاد.. وهو يسأل بخشونة: «وكيف تظنين أنني أشعر؟».

وما لبثت أن أحست به وهو ينهض عن الأريكة. وبعد دقائق، رأته قد ابتعد عنها ووقف في الطرف الأبعد من الغرفة، فيما يداه في جيبيه، وكتفيه محنيتين، بينما راح يحدق من النافذة إلى الحديقة المعتمة.

بعد أن نفضت عنها غبار الكرب، تمتمت بصوت ناعم منخفض:

ـ أدرك أن هذا ليس سهلاً عليك.. لكنه ليس ما توقعته تماماً.

راقها أن تتكلم معه فيما هو مشيح بوجهه عنها، لأنها متحاشية نظرته المتفحصة الثاقبة.

ـ أفهم ما تقولين.

تنهد كايل مرة أخرى، وهو يمرر يده في شعره بحركة خشنة مضطربة، قبل أن ينتزع ربطة العنق ويرميها على ظهر كرسي قريب. وما لبث أن رمى سترته أيضاً دونما اكتراث لقماشها الغالي الثمن، وكأنه يسعى للتحرر من أي قيد مفروض عليه.

تمتم كايل: «يا إلهي.. أحتاج إلى شراب!».

ـ أخشى أننا لا نملك سوى شراب المرضى عصير الكرز البري.. إلا إذا أردتني أن أحضر القهوة.

ـ القهوة تكفي.. لا.. سأعدها بنفسي؛ لا أريد أن يغمى عليك

مجدداً.

ـ لكنني بخير الآن.

تجاهل كايل كلماتها متجهاً إلى المطبخ، وهو يقول:

ـ بمقدوري أن أعد فنجان قهوة.. وكما تعرفين جيداً.. أنا..

أعاد استجماع نفسه فجأة، من دون أن يكمل ما أوشك قوله. وعبر الباب المفتوح رأته يهز رأسه بغضب، مطلقاً الشتائم بين الفينة والأخرى.

سألها بعد لحظات: «أأعد لك فنجاناً؟».

بدا أنه يصب اهتمامه على غلاية الماء، فتعبيره خال من أي مشاعر، لكن لهجته الحزينة فضحت ما يحس به.

ردت ايف آلياً: «أجل أرجوك.. مع الحليب من دون سكر».

ثم عضت شفتها بعد أن نظر إليها بسرعة، والغضب في عينيه ينبئها بخطئها. فهو يدرك تماماً كيف تحب القهوة، إلا إذا كان انهيارها العصبي وذاكرتها المفقودة قد غيرّا ذوقها تماماً.

فقالت: «أنا آسفة».

هز كايل كتفيه العريضتين دونما اهتمام وظهر وجهه خالياً من التعبير. بدا غير مكترث على الاطلاق لذهولها. قال بفظاظة: «نحن متساويان».

وقفت ايف ببطء على قدميها، فيما هو ينتظر الماء لتغلي؛ ثم انتقلت بصمت وتثاقل، لتقف عند الباب ما بين المطبخ وغرفة الجلوس. لم تتذكر هذا الرجل، ومع ذلك، وكأن قوة هائلة تجذبها إليه، لم تكن قادرة على الإشاحة بوجهها عنه، لكنه كان يدير لها ظهره، فأحست بالارتياح. أحست بالقلق، لأنها لم تقدر أن تحول دون نظراتها المليئة بالإعجاب. وتاقت أصابعها لتمر فوق جسمه، ونعومة شعره الأسود اللماع..

وهنا، تصاعد التورد إلى وجهها. راحت تبحث عن كلمة تقولها كي تبعد عن نفسها هذا الخيال الجامح.

فسألت بتهور: «هل تحب العصير؟».

رأت معالم الدهشة عليه قبل أن يستدير ليواجهها: «ماذا..؟».

كانت لهجته تثير الاضطراب.. لكنه استجمع نفسه، فصعب على ايف أن تقرأ معالم وجهه.

انصبت جهود كايل، لثوان، على إنهاء مهمة تحضير القهوة، فراح يحركها بقوة مبالغ فيها قبل أن يرفع الكوبين ويحملهما إلى غرفة الجلوس.

قال آمراً: «تعالي واجلسي».

ثم وضع كوب ايف على طاولة صغيرة بالقرب منها قبل أن يجلس على مقعد بذراعين بعيد بعداً آمناً عن الأريكة التي تجلس ايف عليها.

انتظر حتى جلست، ثم تكلم ببطء.

ـ أعتقد أنه يحق لك طرح بضع أسئلة أيضاً. نعم أنا أحب العصير.. والأناناس بوجه خاص.

عاد يتفرس بها عن قرب، فدب القلق في نفس ايف. علام ينظر؟ لم لا تخبره بكل بساطة أنها لا تتذكر عنه شيئاً؟ ألا يزال يعتقد أن فقدانها للذاكرة غير حقيقي؟

قالت بحدة: «هل تظن أنني أكذب عليك؟».

رد كايل بنعومة وكأنه لم يكن مقتنعاً: «ولماذا أعتقد هذا؟».

ثم مدّ يده إلى الكوب، وتراجع في مقعده وهو يرتشف القهوة..

ـ أفهم أنك تودين معرفة الكثير!

بالطبع! إنها تريد.. بل تحتاج.. أن تعرف الكثير.. كل شيء.. لكن المشكلة أنها لا تعرف من أين تبدأ.. كم تتوق إلى شراب منعش الآن!

ـ ما هو اسمي الحقيقي؟

التوى فم كايل في ابتسامة جانبية. بدا وكأنه كان يتوقع هذا السؤال بالضبط:

ـ أتعرفين اسم.. جنيڤياف؟ لا، لم تحبي هذا الاسم يوماً. كان الكثيرون ينادونك جين.

صمت فجأة، ثم تجهم وجهه بسرعة. أما ايف، فتسمرت في مكانها وهي تدرك أن كلماته التالية مهمة جداً.

وسأل: «أخبريني: لماذا سميت نفسك ايف؟».

ردت بصوت متشنج: «أوه.. هذا..».

ادّعت اللامبالاة وهي تستعيد مرة أخرى أحداث السنتين الماضيتين.

ـ بدا لي الاسم مناسباً لأن ايف، أو حواء، كما يسمونها المرأة الأولى، من دون أبوين، ولا أسلاف، وقد طردت من جنة عدن.

جف حلقها بألم وهي ترى كيف كان ينظر إليها. وأدركت متأخرة، أن اسمها الحالي يمكن أن يصور باختصار اسمها الحقيقي، ولمح كايل وجهها الباهت يخلو من أي لون.. فهز رأسه ببطء.

قال بصراحة: «ايف كان الاسم الذي أعطيته لك..».

وضعت ايف كوب القهوة على الطاولة بعنف. جنفياف.. ايف. تذكرت قوله: «كنت سأعرف على الفور أنك كاتبة القصة، ولو حاولت جاهدة إخفاء اسمك». إذن، هل التقطت الاسم عشوائياً حقاً كما اعتقدت؟.. أم أنه كان مخبئاً في لاوعيها، كما كانت دايان تلمح دائماً.

إذن.. هل ضاعت ذاكرتها إلى الأبد؟ كانت تعتقد أنها دفنت تماماً، لا بل اختفت خلف جدار من الصخر. لكن، يبدو الآن أن هذا الجدار لم يكن صلباً كما اعتقدت.

حثها كايل: «ما عن السؤال التالي؟».

اجتاحت ايف موجة استياء ملتهبة لا سيما أنه لم يعطها فرصة لتستوعب ما قاله لها. فقد تلاشى الرجل الذي ضمها، وتعاطف مع ندائها إلى المواساة وحل مكانه تلك الشخصية الباردة الجامدة.

قالت محتجة: «لست مستعدة بعد!».

لكنها ناقضت نفسها فوراً: «كم يبلغ عمري؟».

ضحك كايل بسخرية. فحين يبتسم، يتغير وجهه كله، وأحست ايف بالجليد الذي غلف قلبها يذوب استجابة لدفئه المفاجيء.

ثم تمتم بخفة: «يا لعادة النساء! هل أقول واحد وعشرين أم...؟».

قاطعته بحدة: «الحقيقة أرجوك!».

قال بسرعة: «واحد وعشرون إضافة إلى خمس سنوات».

إذن، كان تخمينها صحيحاً، و.. شعرت بسعادة لأنها استخدمت اسمها وعمرها الحقيقين في السنتين الماضيتين.

ـ ومتى أبلغ السابعة والعشرين؟

ـ بعد ستة أسابيع. في العاشر من أيار.. بالضبط.

أحست ايف مرة أخرى بنظراته تحرقها. لا شك أن هذا التاريخ مميز لكايل كما هو الحال بالنسبة إليها أيضاً.. فالعاشر من أيار هو اليوم الذي وجدت فيه نفسها في المقهى من دون أن تعلم كيف وصلت إلى هناك.. هو اليوم الذي بدأ فيه كابوسها. إذن، حدث ذلك في عيد ميلادها الخامس والعشرين. ترى، ماذا حدث يومها؟ بكل تأكيد، لا يمكن أن تنتج «المحنة» التي تكلم عنها الأطباء من نسيان زوجها لعيد ميلادها مثلاً.. أهذا ممكن؟

قالت: «إذن كنت في الثانية والعشرين يوم التقيت بك.. وأنت كم عمرك؟».

ـ سأبلغ الخامسة والثلاثين في التاسع من تشرين الأول القادم.

كانت كلماته أشبه بسكين يطعن قلبها. كم تحسده على القدرة البسيطة في تذكر عمره وتاريخ مولده.

فتابع: «السؤال التالي».

عاد إلى دور محامي الادعاء مرة أخرى، أم أنه محامي الدفاع؟ المشكلة أنها لم تكن تعرف إلى أي جانب هو. ففي اللحظات التي كان يضمها فيها، بدا لها لطيفاً ومتفهماً. لكن في بقية الأوقات كان صوته حاداً يتضمن نبرة هجومية شديدة، الأمر الذي دفعها للتساؤل عن سبب عدائيته هذه.. لقد نسيت أنها تركته على ما يبدو من دون سابق إنذار.. وأنها لم تتصل به لما يقارب السنتين. أم أنها تركته قبل هذا؟ أكان تحطم زواجهما «المحنة» التي سببت مشاكلها أساساً؟

كرر كايل: «السؤال التالي».

وتحول ذهن ايف إلى صفحة بيضاء تماماً. فهو لم يكن محامي الادعاء

فحسب، بل كان يقوم بدور المحكمة والحكم في وقت واحد..

ـ ألا تريدين معرفة شيء آخر؟

ـ طبعاً أريد معرفة المزيد! فأنا لا أعرف شيئاً أبداً!

وبغتة، أخذ دماغها يعج بما لا يحصى من الأسئلة.. وحاولت ايف يائسة أن تركز أفكارها على واحدة منها: «ووالداي؟».

ـ كلاهما ميت.

يا إلهي كم هو عديم الإحساس.. لكن، ما من طريقة سهلة لقول هذا.

أضاف كايل: «لم ألتق بهما قط. لقد مات والدك قبل أن ألتقي بك بأكثر من سنة تقريباً، ووالدتك بعد أربعة أشهر تقريباً. وفي رأيي أنهما لم يكونا فائقي اللطف تجاهك، فقد قلت لي إنهما متزمتان جداً.

ـ ما عن الأخوة والأخوات؟

كان سؤالاً كئيباً يائساً. هل كان كايل الشخص الوحيد الذي عرفته؟ كيف يمكن لها أن تعرف الحقيقة عن زواجها إذا كان هو المجيب الوحيد؟

ـ أنت ابنة وحيدة. أنا لست وحيداً.. فأخي الصغير ستيوارت يصغرني بخمس سنوات. إنه فنان العائلة. وهو مهتم بالتصميم، لكنه يترك تفاصيل العمل لي. ولا يزال والداي حيين، لقد حققا لتوهما طموحاً طال انتظاره فتقاعدا في فلوريدا؛ ولقد طال إقناعي لوالدي ليترك زمام قيادة شركته الصناعية. وها هو الآن يتمتع بكل دقيقة من وقته.

نظرة سريعة أخرى إلى وجه ايف، أنبأته بما يجول في خاطرها:

ـ لقد التقيت بهما مرة واحدة، يوم زفافنا. حين كنا معاً لم أتمكن من إقناع الرجل العجوز أنني قادر على التعاطي مع شتون لندن من العمل.

ـ شتون لندن.. كنت..؟

ـ كنت مسؤولاً عن القسم الإنكليزي من المؤسسة حين كنا معاً.

ـ إذن.. كيف.. كيف التقينا؟

ضحكته استحالت خشنة فجأة:

ـ أوه.. هيا يا ايف.. أعرف أنك لست بحاجة إلى السؤال. كل هذا موجود في كتابك، ألا تذكرين؟

ـ كتابي...؟

كانت ايف قد نسيت فعلاً السبب الحقيقي لظهور كايل في المنزل، لكن كلماته الغاضبة عادت لتلاحقها «كل شيء موجود في النسخة اللعينة.. لقاؤنا..».

ـ إذن كان صحيحاً؟ السلم المتحرك..؟

ـ تعطل السلم المتحرك، وتوقف فجأة. فوقعتِ إلى الخلف، بين ذراعي تماماً.. بالضبط كما وصفتِ في كتابك. والآن، هل فهمت لماذا جئت إلى هنا؟

لقد فهمت جيداً. ولا عجب أنه اعتقد أن قصتها رسالة موجهة إليه.. ولا عجب أنه سعى إليها.

ـ أوه.. يا إلهي!

مرة أخرى غطت ايف وجهها بيديها. لم تستطع استيعاب الأمر. لقد ظنت أنها تكتب عملاً أدبياً خيالياً، لكن، بعض الحقائق تسربت فعلاً من شق ذلك الجدار الذي يسد الطريق على ذاكرتها، شق يزداد اتساعاً أكثر مما تصورت يوماً.

ـ أهناك المزيد؟

لم تكن راغبة في السؤال، لكنها عرفت أنها لا تستطيع تركه دون رد. فالوقوع من على السلم المتحرك مثل البداية في كتابها.. وهو يمثل البداية في الحياة الواقعية أيضاً. واضطربت حين أحسّت أن الخيال قد استحال حقيقة، وأنها استخدمته كبداية لعلاقة غرام مشبوب..

رد كايل بسخرية: «عن قصتنا في الكتاب؟ فيها ما يكفي من الوقائع، مثلاً السلم المتحرك، الرحلة في المركب، البرج، وأمسية رأس السنة».

وازداد عمق صوته بتركيز أكثر.

أطلقت ايف تنهيدة دون كلمات. لم تكن بحاجة إلى روايته للأحداث،

فهي تعرف كل التفاصيل التي كان يشير إليها، تلك المشاهد التي اختلى فيها بطلا قصتها للمرة الأول. . والجو العاطفي لاحتفال السنة الجديدة التقليدي، لا سيما أن غياب البطل قد فاق الشهر، فاجتمع شملهما في تلك الليلة الجميلة.

وكأن كايل قرأ أفكارها. . فقال:

ـ لقد عدت إلى أميركا لقضاء عيد الميلاد بعد لقائنا مباشرة.

ـ أوه. . كايل. .

كانت ايف مذهولة لإدراكها أنها تستخدم اسمه للمرة الأولى. . فلم تجرؤ على متابعة السؤال:

ـ هل هناك. .؟ هل هناك أكثر من هذا؟

كتمت أنفاسها لحظة، ثم زفرتها بتنهيدة ارتياح شديد، حين هز رأسه، وقال ببرود: «ما تبقى خيال صرف».

وكأنه يقول، ألا يكفي هذا؟

ـ أحمد الله!

لا عجب إذن أن يغضب بشكل رهيب. . ويستعد ليمزقها إرباً، خاصة أنه اعتقد أنها استخدمت قصة لقائهما كمادة لقصتها.

ـ أنا آسفة جداً.

هز كتفيه بلامبالاة وكأنه لم يقتنع. فتألمت ايف وهي تخشى أن يعتقد أنها خائنة بلا مشاعر. وقال: «على الأقل، لم تتمادي أكثر».

ـ لم أقصد كتابة شيء من هذا عمداً. . أقسم لك. . لم أفعل!

لكنها كتبته. وكما قال كايل، كان هذا يكفي، يكفي لجذب اهتمامه. . ولإقناعه أن المرأة التي كتبت تلك القصة، هي زوجته المفقودة.

توسلت إليه: «يجب أن تصدقني. . لم أكن أعرف أنني أكتب عن واقع حدث حقاً؛ لقد اعتقدت فعلاً أن كله وليد مخيلتي».

عليه أن يصدقها، إنها لا تعرف شيئاً عن هذا الرجل الذي يدّعي أنه زوجها. . ولا تذكر زواجهما، وكيف ولماذا انتهى. لكنها بالتالي لا تستطيع

أن تسأل عن الزواج إلا إذا تقبل هذا الواقع الخطير. فإذا لم يفعل، ما جدوى المضي أكثر في هذا، فهو ضدها منذ البداية.

ـ كايل. . أرجوك. .

مرة أخرى أدار قناعه الفارغ من كل عاطفة نحوها. . وقال أخيراً: «هذا يكفي».

ثم دفع بكم قميصه إلى الوراء لينظر إلى ساعته، وقبل أن تحتج ايف، عبس ووقف: «أعتقد أننا أبقينا صديقيك خارج غرفة جلوسهما لفترة طويلة، ومن الأفضل أن أطلب منهما الدخول قبل أن يظنّا أنني خنقتك بإحدى الوسائد.

وكان في طريقه إلى الباب حين توقف واستدار، وهو ينظر إلى عيني ايف مباشرة: «المشكلة. . ماذا بعد؟».

للحظات طويلة، لم تستطع ايف سوى أن تحدق به بارتباك، بدا أنه لا يفهم معانيه. وأضاف بنفاذ صبر:

ـ أنت وأنا، إلى أين سنصل من هنا؟

كيف يمكن لها أن تجيب على هذا؟ تمنت ايف، وهي في حال هستيرية، لو أنها أضافت المزيد من الحقائق إلى قصتها، وسردت أكثر عن قصتهما الحقيقية، على الأقل، كانت ستعرف أكثر، وأفضل، كيف ستتصرف. لكن يبدو أن لاوعيها قد خانها في أكثر الأوقات أهمية. وكان يمكن أن تكتشف بنفسها، أنها وقعت في حب كايل في مرحلة ما. بما أنها التقت به وتزوجته، المهم هو ما حدث بعد ذلك. وقبل أن تقرر إن كانت تريد رؤية كايل جنسن مرة أخرى، تحتاج إلى أن تعرف أكثر بكثير عن علاقتهما في الماضي. لكن المشكلة، على ما يبدو، أن الشخص الوحيد الذي يستطيع أن يخبرها بكل هذا، هو كايل بنفسه.

ـ أنا. .

وبينما هي مترددة سمعت صوتاً مخنوقاً من الغرفة الأخرى وتذكرت دايان ودعمها لها، والنصيحة التي أسدتها إليها قبل قليل، ثم أكملت:

«كل يوم بيومه».

عقد حاجبيه: «ماذا.. ؟ ماذا قلت؟».

ـ يجب أن نعيش يوماً بيوم.

في البداية ظنت أن كايل سيرفض اقتراحها، لكن تعبير وجهه أنبأها أنه راض عن عرضها. وماذا يتوقع؟ أن تقفز إلى فراشه ما إن يقول لها إنها زوجته؟ واندفعت إلى الكلام مجدداً في محاولة للتلهي عن الفكرة المثيرة للاضطراب.

ـ يجب أن نبدأ منذ البداية، وأن نتعرف إلى بعضنا مرة أخرى، كما فعلنا تماماً في المرة الأولى.

رد معاتباً: «لكننا لم نأخذ الأمور ببطء يومها».

تورد خداها لكلامه هذا وتذكرت الفصل الأول من قصتها. ثم ارتجفت خوفاً وترقباً للأسابيع والأشهر القادمة، والتفكير بكل ما ستكتشفه. لكنها عرفت أن دايان على حق. عليها أن تتروى في رحلة العودة، خطوة بخطوة.

هز كايل رأسه موافقاً: «حسناً..».

وبقي تعبيره كئيباً، من دون أن تبدو عليه سعادة كبيرة. بدا واضحاً أنه أراد أكثر من هذا، لكنه اضطر إلى القبول بالقليل الذي تعرضه الآن.

ـ سنقوم بهذا على طريقتك، لكنني أقول لك شيئاً واحداً يا ايف مونتاغوي..

أثارها التشديد على اسمها بهذا الشكل، وأدركت بذهول أنها لم تسأله بعد عن اسم عائلتها الحقيقي:

ـ كوني متأكدة من شيء واحد، لن يكون الأمر أبداً مثلما كان في المرة الأولى.. مطلقاً.

لن يكون أبداً، ومن دون أدنى ريب، كما كان في المرة الأولى. وعادت الكلمات تطاردها بعد ساعات.. حين آوت أخيراً إلى فراشها.. لكنها لم تنم. بدلاً من ذلك، استلقت مستيقظة في الظلام، تستعيد مرات ومرات

الأحداث التي لا تصدق في هذا المساء، خاصة المعلومات التي عرفتها عن نفسها وتحاول أن تربطها كلها معاً لتكون النتيجة مفهومة.

لكن الصورة رفضت أن تتكوّن، وكأنها تحاول جمع قطع أحجية، والمشكلة أنها لن تتمكن من إكمال الصورة حتى تسأل كايل السؤال الأهم، السؤال الذي تعرف أنها كانت تتجنبه طوال المساء، السؤال الذي بدأ يلحّ باستمرار داخل رأسها.

كانت تريد أن تسأل: «أخبرني.. ما هو الحدث الذي هدد حياتنا الزوجية، ودفعني إلى أن أفقد ذاكرتي؟».

***

٤ ـ لا أعرفك

ـ ستحتاجين إلى ثياب وسيارة، ومن الأفضل أن تتركي عملك.

ـ أرجو عفوك؟

ـ قلت..

ـ أعرف تماماً ما قلته!

ولم تحفل بأنها تناقض نفسها.. لقد سمعت جيداً ما قاله كايل.. لكنها لم تستطع أن تصدق أذنيها. حين قالت إنها وكايل سيأخذان الأمور بروية، تساءلت كيف سيقضيان تلك الأيام معاً.. كيف سيتصرفان تجاه بعضهما.. لكنها بالتأكيد لم تتوقع هذا.

قالت بحرارة، وهي عرضة لمزيج متقلب من القلق والتوتر والانزعاج، ففي حين أنها مهتمة لشعوره، كان لا يهتم إلا للأشياء العملية: «وهل أنت مادي واقعي وبارد هكذا دائماً؟».

هز كايل كتفيه دونما اكتراث، وقال: «على أحد منا أن يكون هكذا.. من الواضح أنك لم تفكري بهذه الأمور».

ردت بتمرد: «ظننت أن أمامنا مواضيع أخرى لمناقشتها».

رد بحدة، زادت من سخطها: «الأهم ثم الأهم».

لم تكن هي المرة الأولى التي ترى فيها كايل منذ ظهوره الدراماتيكي في منزل دايان وجيم، أي منذ يومين. فقد دعته دايان إلى العشاء أملاً في المساعدة، وثبت أن ذلك المساء كان من الأوقات الأصعب والأكثر إحراجاً في حياة ايف. على الأقل، الحياة التي تستطيع أن تتذكرها.

دار بينهم حديث مهذب حذر، ناقشوا خلاله البيئة، الحالة الاقتصادية، وكانت تصرفات كايل ممتازة تماماً، وأخلاقه لا عيب فيها.. لكن، ايف عرفت، من النظرة في عينيه السوداوين، أنه يحترق بنفاذ صبر، وأنه كان يريد أن ينتقل إلى أمور أكثر أهمية.

لكنه أخذ وقته كما يريد، وسار في اللعبة من دون احتجاج.. وكأنه صديق جديد يزور حبيبته لأول مرة..

لكن نهاية الأسبوع حلت، ولم تعد ايف قادرة على التذرع بساعات عملها كي لا تنفرد به.. وكانت دايان وجيم قد اصطحبا التوأم لنزهة بعد الظهر، فتركا لهما الفرصة للخلوة والحديث.

قالت ايف متوترة: «من خلال تعليقك على السيارة، أستنتج أنني أعرف القيادة؟».

هز رأسه الأسود الشعر بحدة: «لقد علمتك.. ونجحت في الامتحان من المرة الأولى أيضاً».

ـ لكنني لم أقد سيارة منذ ما يقارب السنتين.

أضافت ايف الواقع هذا إلى مخزون المعلومات الصغير، الذي راح يتنامى يوماً بعد يوم. وبدأت تبني صورة لجنثياف باكهام، المرأة التي كانتها يوماً. لكن هذا مجرد عنوان عريض، من دون تفاصيل ولا ظلال لتكمل صورته.

ـ لا يمكن أن تنسي شيئاً مثل هذا.. سآخذك لتقودي مرتين.. وسرعان ما تتذكرين.

لو أنها فقط تستعيد مهارة أن تكون زوجته بمثل هذه السهولة.. بدا لها أن كايل يؤمن بهذا كل الإيمان.. ولم يكن يهتم أنه الآن غريب تماماً عنها.. فهل كان دائماً المسيطر.. أم أن هذا مجرد تجاوب مع الوضع الحالي؟

قال كايل وكأنه يراجع الأشياء في ذهنه: «والآن.. بالنسبة الملابس..».

قاطعته بكبرياء: «أملك ملابسي!».

طافت العينان السوداوان عليها، وهما تتأملان الكنزة القطنية الزهرية اللون والجينز، فشعرت وكأنها نموذج مثبت على طاولة مختبر.

كرر ساخراً: «تملكين ملابس..».

صاحت به وقد غضبت للطريقة التي ينظر فيها إليها:

ـ حسن جداً، لعلها ليست مناسبة للصورة التي تريد أن تبرزها!

لكن الفرق في نوعية ثيابهما، لا يمكن أن تكون أكثر بروزاً.

لا يحق لأي رجل أن يبدو جيداً هكذا.. ولا جذاباً بشكل قاتل.. وتأملت كيف يتعلق قماش سترته بكتفيه المستقيمتين المربعتين، ثم يتدلى بنعومة على عضلات صدره المتناسقة.

هل عانقت حقاً هذا الجسد القوي في ما مضى؟ أضمتها هاتان الذراعان القويتان ليلاً؟ هل استلقت في الفراش معه، تتعرف إلى قوة حبه..؟

أعادت ايف نفسها إلى الحاضر، وقالت:

ـ لكنني لا أستطيع أن أبتاع ما غلا ثمنه.. لسنا جميعاً من أصحاب الملايين!

غمرها الألم لأنها اضطرت إلى إخفاء أفكارها المثيرة، بلهجة عدوانية فاقت تصورها.. وسرعان ما اجتاحها الندم لا سيما وهي ترى التواء فم كايل، وأدركت أنها زوجة للمليونير، رغم أنها لا تشعر بهذا. صحيح أنه أكد أنهم أمضيا ثلاث سنوات معاً، لكن، لا وجود في ذاكرتها للحظة من ذلك الوقت.. كما أنها تشعر بتقارب أكبر تجاه دايان وجيم، وحياتهما البسيطة في الضواحي من هذا الزوج الثري.

ـ لم أكن أنتقدك.

تناهى إليها صوت كايل، بمزيج من اللطف والتوبيخ، ليلسعها كطرف السوط، فتضاعف ألم ايف وما لبث أن أكمل:

ـ وأنا أدرك أن الأمور لم تكن سهلة عليك.. من الصعب أن تجدي نفسك وحيدة في الدنيا من دون أن تذكري من أنت أو كيف وصلت إلى هنا، هذا من دون ذكر الصعوبات المادية والعملية التي تكبدتها لتبدئي من جديد

بلا مال أو عمل.. لا شك في أن تجاوزها بدا مستحيلاً.

هزت ايف رأسها صامتة وقد صعقت لتفهمه العميق. فمع أن دايان وجيم ساعداها، ولن تتمكن من رد جميلهما، فقد ظلت تناضل بيأس لتقف على قدميها.

وتمكنت أخيراً من القول: «فرصة العمل كانت مستحيلة تقريباً.. فعلى أي حال، لم أكن أعرف أني أملك مؤهلات».

ـ لكنك في الواقع، تملكين العديد من الشهادات.. هذا من دون ذكر سرعة مذهلة في الطباعة والاختزال.

ابتسمت ايف ساخرة: «كم أتمنى لو عرفت هذا منذ سنتين، فكل ما استطعت أن أجده هو وظيفة في مكتبة».

ـ وهذا سبب إضافي إذن، لاستفادتك من الملابس..

قاطعته: «لا أريدك أن تشتري لي ملابساً!».

ـ لا داعي لهذا.. على أي حال، فهناك خزائن مليئة بالثياب..

ـ لا!

أدركت أخيراً ماذا يقصد بالضبط. لكنها ردت غريزياً، بكلمة واحدة فيها من الخشونة ما يبعث على الاضطراب، فما كان من كايل إلا أن قطب جبينه.

ـ لن أتركك تعطيني هذه!

ازداد عمق العبوس حتى أصبح خطيراً: «لكنها كانت ملابسك.. تلك التي اشتريتها لك.. الملابس التي تركتها».

ظنّ أنه يسهل الأمور.. لكنها بالنسبة لأيف، كانت تزداد سوءاً.

ـ لعلها كذلك.. مع ذلك لا أستطيع أن آخذها! فهذا يعني أنني سأقبل غيرها من الأشياء أيضاً.

ـ أي أشياء؟

هزت ايف رأسها يأساً.. كيف تفهم كايل أن هذه الثياب قد لبستها يوماً.. وأنه اشتراها «لزوجته».. وأهداها إياها حين كانا يعيشان معاً..

وأنهما تشاركا في ماض أوصلها إلى انهيار عصبي . . .

بدا كايل وكأنه قادر على قراءة أفكارها في وجهها .

ـ ستضطرين إلى القبول بها في يوم ما .

وإذا كان صوته بارداً قبلاً فقد أصبح الآن مثلجاً .

تنهدت ايف : «أعرف . . لكنني لست مستعدة بعد . . ما زال الوقت مبكر جداً . . كنت يومها امرأة أخرى . . امرأة لا أعرفها الآن» .

حتى ولو طلبت من كايل أن يخبرها عن الماضي . . فهل يمكن أن تثق أنه الحقيقة الخالصة؟ أيقول لها ماذا حدث لزواجهما ، حتى ولو كان يؤثر عليه سلبياً؟

ـ هلاّ قبلت بعض الملابس الانيقة لترتديها؟

أجفلت ايف من الخشونة في كلمات كايل . وأدركت كم يزدري مظهرها الحالي .

ـ نعم ، تلك الملابس كانت لأيف التي كنت تعرفها . . المرأة التي تظن أنها أنا . . وقد لا أكونها بعد الآن .

وما من طريقة لتعرف إن كانت تريد أن تستعيد صورة المرأة التي عرفها ، حتى في تلك الأيام . وأكملت :

ـ عليك أن تفهم أنني لا أستطيع قبول تلك الثياب . وهي ملك لإنسان آخر . . إنسان قد يكون ميتاً . .

ـ لعنة الجحيم يا ايف!

وارتجف كايل بعنف ، ورغم ردود فعله العنيفة راحت تقاوم لتتابع قائلة : «لا أستطيع أن أستحيل تلك المرأة لمجرد إرضائك» .

ـ ليست المسألة أن ترضيني فقط!

كانت لهجته شديدة وقاطعة ، تكشف من غضبه العارم :

ـ تكاد الملابس تهترىء في الخزانة في منزلي . . وأنا أعرف تماماً كم يهمك مظهرك .

ـ إذن . . أنت تعرف أكثر مما أعرف!

وعرفت ايف أنها تخاطر بمعاداة كايل ، لكنها كانت تزداد عدائية مع كل كلمة تتفوه بها . ومع ذلك لم تستطع منع نفسها ، فقد كان السخط يغلي في داخلها لمجرد فكرة أنه يعرف عن حياتها أكثر مما تعرف هي . . وأن عليها أن تلاحقه بأسئلة عن أكثر الوقائع الأساسية التي تتعلق بها .

ـ إضافة إلى هذا ، لا شك في أنني تحولت إلى امرأة مختلفة تماماً خلال سنتين .

ـ هذا ممكن . .

إنما ليس في ما يتعلق بهذا الموضوع ، هكذا كانت لهجته تقول . . وكان على ايف ، أن تعترف في أعماق نفسها أنه على حق . . فهي فعلاً تجاهد لتبدو الأفضل ، ولو بمدخول محدود جداً . . فانصبغت وجنتاها بدم سال من كبريائها الجريحة في حين أكمل هو : «لكن . . بما أنني أعرفك . . » .

ـ توقف عن هذا!

وضربت قدمها في الأرض فعلاً هذه المرة .

ـ لا تقل لي مجدداً إنك تعرفني أفضل مما أعرف نفسي! فأنا أعلم هذا! وصدقني . . هذا ليس أمراً يسعدني!

قال كايل بحدة لاذعة :

ـ كان هذا مجرد جملة تردد ، لكنني أفهم رأيك ، وسأحاول أن أتجنب هذا التعبير بالذات مستقبلاً . . إذن لا ملابس . .

لم تصدق ايف أنه تراجع بسهولة ، إذ كانت تتوقع أن تتسع المناقشة معه في هذا الموضوع .

ـ أنت موافق؟

ـ إذا كان الأمر يهمك إلى هذه الدرجة!

لبضع ثوانٍ اندفعت ايف بالرد العفوي ، وبعد أن أحست بالانتصار كإنسانة وأنثى ، شعرت بالندم على ملابس كان يمكن لكايل أن يوفرها لها . . ثم استرخت في مقعدها . . لذا ، لم تكن مستعدة أبداً لما قاله لاحقاً .

ـ لكن ، يجب أن تتخلي عن الوظيفة .

ـ ماذا؟ مستحيل! أنا أحتاج إليها.

ـ لعنة الجحيم يا امرأة.. ألا تنفذين أبداً من دون جدال؟

ـ لا أعرف.. وهل أفعل هذا دائماً؟ أخبرني..

وسبقته ايف بكلمة «أعرفك» رمتها في وجهه بحدة، لتجبره على ابتسامة مترددة:

ـ يجب أن تواظب على الابتسام.. أتعرف هذا.. فالابتسامة تناسبك.

تمتم بمرح ساخر: «هذا إطراء.. لا أقل ولا أكثر، ولقد أرضيت غروري.. و.. لا.. أنت لا تتقبلين كل شيء.. لقد قلت لك.. لقد رفضت الوعد بإطاعة...».

فجأة اكتأب تعبير وجهه.. لكن ايف أحست بالتوتر يتسلل مجدداً إلى الجو مع الإثارة المبهمة لزواج لا تستطيع تذكره، وسرعان ما تدمرت الألفة التي بدأت تتطور بينهما.

تابع كايل: «أنت لست بحاجة إلى عمل.. أستطيع إعالتك..».

كانت في هذه العبارة مرارة لم تعهدها في حياتها. فلا يمكن أن تعيش عالة على كايل، عاطفياً أو مالياً، ليس قبل أن تعرف حالتها بالضبط. وما لبثت أن هزت رأسها بصمت، وخصلات شعرها الأشقر تتطاير.

تابع كايل: «أملك أكثر مما يكفي».

ـ أنا واثقة من هذا، لكنك لا تستطيع أن تقتحم حياتي وتتوقع مني أن أسلمك زمام أمري..

ـ أقتحم؟ اللعنة عليك! ايف.. أنت التي تركتني!

هذا هو الوقت المناسب لتسأله لماذا تركته.. لكن نظرة سريعة إلى عينيه الملتهبتين، وعلامات الغضب على وجهه، دمرت كل شجاعتها في لحظة. فلجأت إلى خطة مضللة، تركز فيها على جانب ثانوي بدلاً من المعركة المباشرة.

ـ ماذا كنت أعمل قبل أن ألتقي بك؟ حسب ما قلته لي، أفهم أنني كنت سكرتيرة؟

في البداية، استحالت عيناه شظيتين من نار في وجهه.. وأفلت السيطرة على عضلات فكه، فتصلبت في مقعدها، وهي تحضر نفسها لما هو أسوأ من الانفجار.. لكن، انتظارها ذهب سدى. إذ رد على سؤالها بهدوء.

ـ هذا صحيح.. لقد عملت في شركة جنسن، بعد لقائنا مباشرة.. ولو لم يكن من أجلي مباشرة.

ـ حقاً؟

ضاعت ايف لبرهة.. فقد غرقت في غموض هذا الماضي الذي لا تعرفه.. حاولت أن تتخيل نفسها في مكتب.. تعمل قريباً من كايل. أدار رأسه وقد فرغ صبره، فعادت أفكارها إلى الحياة. فيما أكمل: «لكن ذلك كان أمراً مختلفاً..».

ـ ماذا تقصد؟

ـ كنا متزوجين..

ـ وهل نحن متزوجان الآن؟

أجفلت ايف للهيب الغضب المتوحش الذي أشعل العينين السوداوين، وانكمشت في مقعدها فيما وقف بحركة عنيفة سريعة:

ـ لا زلت لا تصدقيني؟ حسن جداً.. هاك، ألقي نظرة على هذا..

ورمى مغلفاً في حجرها وكأنه سلاح ما، فأحست ايف لو أن أفعى تسللت إلى حجرها لما انزعجت أكثر. لم يكن لديها أدنى شك عما تحتويه الأوراق في المغلف.. لكنها لم تحتج إلى التركيز كثيراً على الكلمات التي أخذت تتراقص أمام عينيها.. كايل باتريك جنسن.. جنفياف ماري بوكانون.. تاريخ ما في شهر تموز.. تم الزواج في..

سيطرت على صوت كايل لهجة ساخرة قبيحة:

ـ تبدين مصدومة تماماً.. حبيبتي ايف.. ما بالك؟ هل كنت تأملين أن أكون مخطئاً.. وأن أمامي امرأة أخرى؟ أوه.. لا.. حبيبة قلبي.. أنا لا يمكن أن أفعل هذا.

ـ أنا لم أقصد هذا!

أم أنها قصدته؟ ألا زالت في أعماقها تأمل بأن يكون كايل مخطئاً، وأنها ليست الزوجة التي يدعيها؟ لم تستطع ايف أن ترد على هذا السؤال.. لكن، على أي حال، لقد أصبح كل هذا خارجاً عن الموضوع الآن.. كانت شهادة الزواج التي تمسكها في يدها برهاناً قاطعاً يثبت أنها في يوم من أيام تموز مند خمس سنوات أقسمت على أن تكون زوجة كايل «إلى أن يفرقهما الموت».

مال كايل فوقها.. كتفاه القويتان تحجبان عنها النور المتسلل من النافذة.

ـ ماذا عنيت إذن؟ أمن طريقة أخرى إذاً؟

ـ عنيت.. عنيت..

حل الخوف على حنجرة ايف، فانعقد لسانها في داخلها.. بحيث لاقت صعوبة في تشكيل الكلمات.

صاحت يائسة: «لا تقف فوقي هكذا! لا أستطيع التفكير فيما أنت تهددني..».

ـ أهددك!

انحبس نفس كايل بشكل غريب.. وكأن شخصاً ضربه بكل قوة على صدره.. وللحظة حافلة بالتوتر، اشتدت قبضتاه على ذراعي المقعد.. فسيطر الذعر على ذهن ايف وهي تفكر في أنه لا يحتاج سوى إلى حركة واحدة وتطبق هذه الأصابع القوية على خناقها.. لكنه، أطلق لعنة منخفضة، ثم ابتعد عنها ليقف مديراً ظهره إليها، فيما يداه في جيبي بنطلونه، وكأنه غير واثق إن كان يستخدمهما.. وما لبث أن راح يحثها بصوت أجش: «وماذا عنيت..».

لم تعرف ايف أيهما الأسوأ.. المستبد الخطير المهدد الذي وقف فوقها كالبرج منذ لحظة.. أم هذا الشخص البارد غير المتجاوب، صاحب المظهر القاسي، والرأس المرفوع بتصلب.

حاولت مترددة: «ألا يمكن على الأقل أن تنظر إلي؟».

لكنه، أبقى على وجهه مستديراً بعناد، فيما تغير مزاجها فجأة.

اشتعل الغضب في أعماقها، وأحست بأن التوتر والضيق تلاشيا في موجة مشاعر، حسن جداً.. هو الذي سعى إلى ذلك.

ـ في الزواج مشاعر أكثر من مجرد ورقة تقول إننا زوج وزوجة...

وتمتم كايل بشيء غير مفهوم.

ـ.. ماذا قلت؟

استدار ليواجهها ببطء، بدت الحركة مثيرة بشكل غريب، وكأنها لقط كبير متوحش يفيق من نومه..

قال متشدقاً: «قلت.. هذا صحيح..».

خفق قلبها بتوتر وهي تسمع الشر الحريري في صوته، ثم توترت نبضاته حتى صعب عليها التنفس جيداً، وأكمل: «أنا موافق معك، تماماً».

كان يحاول متعمداً أن يثير أعصابها، وأدركت ايف هذا.. ولسوء الحظ، كان ينجح في هذا جيداً. ومهما حاولت، لم تستطع أن تستحضر أي ذرة من غضبها الملتهب.

تابع كايل: «إذن.. أخبريني.. ما هو في رأيك ما يكوّن الزواج؟ أريد أن أعرف حقاً».

ابتلعت ايف ريقها وهي تحاول التخفيف من انزعاجها.. فجأة لم تعد تستطيع تحمل التناقض بينهما أكثر من هذا.. فنهضت باضطراب من مقعدها، وهي تشعر أنها ضعيفة جداً.

بدأت تقول: «في الزواج الحب.. والصدق..».

وتلعثمت حين هز كايل رأسه بموافقة ساخرة.

ـ والإخلاص والدعم..

بدا لها أن حنجرتها انسدت مجدداً مع ارتفاع متعمد لحاجبه الأسود.. ذكّرتها ابتسامته الساخرة بأنه ما عرض عليها سوى الحب والإخلاص، لكنها رفضته بغضب.

صححت كلامها بسرعة: «الدعم العاطفي.. و..».

قاطعها بلطف مخادع: «وماذا ايف؟».

وفيما هو يتكلم، خطا خطوة واحدة، صامتة، نحوها: «بالتأكيد لن تتوقفي عند هذا؟».

لكن صوت ايف خذلها تماماً هذه المرة، فهزت رأسها بيأس، ونظرتها مسحورة بذلك العنيد الذي يجول عبر الغرفة.

ـ حسن جداً.. ايف؟

خطوة واحدة إلى الأمام.. مجرد واحدة.

ـ و.. ماذا..؟

أقدم على حركة أخرى صامتة، مختلسة، كقط صياد، ورمقها بنظرة سوداء سمّرتها في مكانها.. وكأنها مخدرة تماماً.. وكأنها في غشوة.

ـ هل أقول لك ما فاتك يا حبيبة قلبي؟

تابع الصوت الناعم النبرات، نسج سحره المنوّم. لقد أصبح قريباً جداً الآن.. قريب بشكل خطير، كل ما عليه فعله هو أن يمد يده ويلامسها.. لكنه لم يفعل.

ـ ماذا عن العلاقة الجسدية ايف؟ عن الرغبة..

وازداد عمق صوته وكثافته:

ـ الحرارة المشبوبة.. هذا ما نسيته يا حبيبتي.. أم أنك كبحتها، وحاولت أن تنفي وجودها؟

***

بقي ذهن ايف خالياً من الأفكار، واحتارت من أين تستحضر الكلمات لترد عليه. فكل ما كانت تعيه، هو رجولته البارزة، تلك القوة البدائية تحت نعومة قماش الكشمير.. وتمنت لو تشيح بنظرها بعيداً عن العينين السوداوين العميقتين.. لكنها ألفت نفسها غير قادرة على أية حركة.. فيما عدا إيماءة صدرت عنها من دون وعي. فتسلل لسانها إلى الخارج، يبلل شفتيها الجافتين بعصبية.. وإذا بها تنظر إلى كايل فتكتشف أنها فضحت مشاعرها الداخلية إذ تغيرت نظرة عينيه إلى سواد كامل.

ـ هل نسيت يا ايف؟ أم أنك ببساطة خائفة من البوح بإرادتك؟ أتريدين

أن أثبت أنني زوجك؟

أحست ايف بأنفاسها تنحبس، وبدا أن قلبها قد توقف عن الخفقان.. وما لبث أن اجتاحها توتر عصبي شديد، فابتلعت ريقها بعمق، ولم تعرف كيف استجمعت قوتها لترد.

ـ لقد وعدت..

لكن صوتها كان مجرد حشرجة مؤلمة.

ـ أوه.. صحيح.. لقد وعدت.

كان صوته همساً مثيراً، بالكاد يسمع، مع ذلك أحست ايف بكل كلمة تضغط على أعصابها المتوترة.

ـ لقد وعدت ألا ألمسك..

انضمت شفتا كايل بابتسامة واهية.. لكن ايف أحست وكأن ألفاً من الأصابع المثلجة تزحف فوق بشرتها، لا سيما حين لاحظت أن دفء تلك الابتسامة لم يصل إلى عينيه.

ـ لقد وعدت ايف.. لكنني لن ألتزم بوعدي إلى حين تكونين مستعدة..

ازدادت الابتسامة اتساعاً، وهي ترسل فيها رجفة باردة. وببطء شديد، مد كايل يداً، ليلمسها أخيراً.. ثم راح يمرر ظاهر أصابعه على خديها بلطف متناهي.

حاولت ايف الاحتجاج: «أنا لست..».

وخذلها صوتها فيما ارتفع حاجبه بصمت ساخر متسائل عن مدى صدقها.. ثم قال بنعومة: «أوه.. بل أنت مستعدة.. كل ما فيك ينبيء بهذا..».

وسرعان ما هبطت النظرة السوداء إلى فمها.. لكن عينيه تابعتا مسيرتهما بتأمل مثير لما تبقى من جسمها النحيل.. وبرعب، أحست ببشرتها تقشعر استجابة، وبأعصابها تتوتر، فيما أطرافها تتألم بشكل مدمر.

تابع كايل، بالصوت المخدر ذاته: «كل جسمك ينبئني بأنك

مستعدة.. سواء اعترفت بهذا أم لا».

وبدافع غريزي فتحت ايف فمها لتحتّج.. لكن كلماتها خرجت مشلولة.. مجرد تنهيدة خفيفة، لعلها نداء خوف.. أو حاجة.. هي نفسها كانت عاجزة عن تحديدها. إزاء هذا المشهد، اتسعت ابتسامة كايل.. وأحست ايف وكأنما وابل من الماء البارد ينهمر عليها.

همس: «أوه.. ايف».

وكما توقعت، تحرك ليقضي على المسافة المتبقية الصغيرة بينهما، وراح رأسه الأسود الشعر ينخفض.

أجل، كانت تتوقع منه هذا، لكن ما لم تتوقعه قط كان السيطرة الجسدية القاسية التي أحاطها بها. بدا ملتزماً بوعده، إذا أبقى جسمه المتصلب بعيداً عنها، ولم يلامسها، بل أبقاها أسيرة بقبلة لطيفة وحسب.

أبدى كايل من اللطف ما لم تتوقعه بتاتاً.. كان ناعماً إلى أقصى الدرجات.

ومال جسمها نحو كايل، بدافع غريزي، وكأنها تتلقى أوامر غير منطقية في رأسها.. وسرعان ما امتدت يداها لتمسكا بذراعيه القويتين، فتشعر بدفء بشرته.. في ذلك الحين، كان ذهنها يدور في دوامة ذهبية من المشاعر، فطغت الحرارة على شرايينها.

تمتم كايل: «أوه ايف.. لا تدعي أبداً أنك لست مستعدة بعد الآن.. أبداً..».

رددت ايف حالمة: «أبداً..».

وغاصت في بحر ذهبي من المشاعر، وأنهت كلمتها بشهقة سعيدة، بعد أن انتزع منها اعترافاً، أقرته من دون أي مقاومة.

ـ ايف..

لا تتكلم.. توسلت إليه ايف بصمت يائس، لا تتكلم! ضمني فقط.. عانقني.. أحبني! أرجوك كايل..

لن تعرف ايف أبداً كيف فاتهما صوت السيارة وهي تقف في الشارع..

وما هي إلا بضع ثوانٍ حتى انفتح الباب الأمامي، وتصاعد وقع الأقدام في الردهة، ثم ارتفع صوت دايان مشرقاً ينادي: «لقد عدنا إلى المنزل!».

بردة فعل غريزية، تراجعت ايف عن كايل وكأنها لذعت، ثم ارتفعت يداها تدفع صدره.. كان اللون الدافىء يخنق خديها.. فيما نظراتها لا تقويان على التوجه إلى كايل. لكنها أيقنت أنه يراقبها.

وفيما هي تشعر بقوة نظراته عليها. سألها بنعومة: «ما المشكلة ايف؟ لمَ أنت قلقة هكذا؟».

وبدافع من التوتر في داخلها، رمته ايف بكلمات حانقة: «لقد عاد دايان وجيم..! ولو دخلا..».

رفع كتفيه دونما اكتراث:

ـ فليعرفا أنني كنت أعانقك.. أهذا رهيب إلى هذا الحد؟ أنا زوجك، على أي حال.. وهذا ما كانت صديقتك تتوقعه.. وإلا لماذا أعطتنا هذا الإنذار الواضح؟

هذا صحيح.. وكان على ايف أن تعترف بذلك. فقد قضت دايان وقتاً غير عادي في الردهة، وهي تخلع سترتي التوأم وتعلق معطفها ومعطف زوجها. مع ذلك، ازدادت مشاعرها اضطراباً لفكرة أن صديقتها تتوقع مثل هذه اللحظة. وسرعان ما صرفت هذه الافكار، لتركز على أمور أكثر عملية.

سألت كايل: «كيف أبدو؟».

وتساءلت في سرها كيف يتصرف بمثل هذا الهدوء وتلك السيطرة على النفس، بينما هي محبطة ومدمرة.

تسللت السخرية إلى صوته فيما رجّع صدى سؤالها: «كيف تبدين؟».

وامتدت يده إلى ذقنها، فرفع وجهها إليه حتى التقت العينان الزرقاوان العينين البنيتين في لحظة تواصل متعمدة.

ـ تبدين..

ساد بينهما صمت متعمد، فازداد قلقها، وأحست بأعصابها تكاد

تنفجر.

وما لبث أن ارتسمت ابتسامة على وجهه وهو يشدد على كلماته:

- تبدين خائبة الأمل، يائسة.. محبطة.. لكن، لا تقلقي يا حبيبة قلبي.. يمكن لهذا أن ينجح في المرة القادمة.

وما إن ترك كايل ايف تترنح تحت تأثير هذه الفكرة، حتى انفتح الباب، ليكشف عن دايان والتوأم، فاستدار وراح يرحب بهم بابتسامة عريضة.

ترى.. هل كانت المشاعر التي أحستها، مخلفات ذكرى ماضية أم أحاسيس جديدة تماماً؟ راح هذا السؤال يحوم في رأس ايف طوال المساء.. فباتت عاجزة عن الاسترخاء، لا سيما وأن كايل يثير فيها اضطراباً دائماً. وإزاء ذلك ضاعت كل آمالها في الانعزال في غرفتها والتفكير.

كان كايل هو من اقترح أن يجالس التوأم مع ايف حتى يقضي الوالدان أمسية نادرة في مطعم محلي.. إلاّ أن ايف شكت في أن أسباب أخرى أكثر أنانية كانت وراء كرمه المفاجيء.

وثبت أن شكوكها صحيحة، فما إن خرج صديقاها، حتى استدار إليه وتعبير غامض يرتسم على قسماته.

- يجب أن نتكلم.

سألت بقلق: «نتكلم عن ماذا؟ ليس لدي الوقت الآن.. يجب أن أجالس التوأم في السرير..».

- سأساعدك.

فتلاشى آخر أمل لها في تجنب المواجهة التي يفكر بها بوضوح.

- لا داعي لهذا..

لكن عبثاً، فالقدر كان مصمماً على الوقوف إلى جانب كايل. فما إن سمعت كورتني، إحدى التوأمين، ما قاله، حتى أضاء وجهها فرحاً. فعرفت أن قلبها لن يطاوعها على حرمانها من هذه السعادة.

قالت كارولين بعد أن اغتسلت وارتدت ثوبها القطني الجميل: «إروِ لنا

قصة ايف؟».

ضمت كورتني توسلاتها إلى توسلات أختها: «أوه.. أرجوك!».

- حسن جداً.. قصة صغيرة فقط.

ما إن حان موعد النوم حتى أطفأت ايف النور وهي ترفض طلب التوأم بالمتابعة.

ولما تركا الغرفة، سألها كايل: «هل كان كل هذا من نسج مخيلتك..؟ أم أنك صممته مسبقاً؟».

- رحت أخترعه وأنا أقص الرواية.. لا بد أنني أملك مخيلة خصبة، مليئة بالأفكار.. ولهذا السبب بدأت الكتابة.. لقد سمعت دايان القصص التي كنت أقصها للتوأم، واقترحت أن أدوّنها.

لفّ الضباب وجه ايف.. فباتت عيناها الزرقاوان كليلتين ومظللتين وهي تذكر كيف أمضت ساعات طويلة وهي تبتكر عالماً خيالياً لأن عالمها الحقيقي كان فارغاً.

- كنت أؤلف تأريخاً شخصياً، عائلات، وعلاقات لشخصياتي، فأحسست بسيطرة لم تكن موجودة في حياتي.. ولم أعرف، بالطبع، كم كان للإبداع الخيالي خطوط حقيقية. ثم، حين انضممت إلى مجموعة كتّاب في الخريف الماضي.. قرأ الأستاذ جزءاً مما كتبته.. واقترح أن أعرض مؤلفاتي على دار نشر، لذا طبعته على الآلة الكاتبة وأرسلته.

- وحط على مكتبي كأنه القنبلة الهابطة من السماء. أوه.. لم يستقر على مكتبي بالضبط، إنما على مكتب إحدى المحررات، ولمحت الكتاب مصادفة حين ذهبت لأناقش موضوعاً معها.. وإذا باسمك يطالعني.. حاولت إقناع نفسي أن في العالم مئات يحملن اسم ايف، لكن ما إن قرأت أول عشرين صفحة حتى عرفتك.

- لم أكن أنوي نشر لقاءنا.. والأحداث الأخرى.. لكنني لم أكن أعرف...

قاطعها بسرعة: «أعرف.. ايف.. أعرف. وأعتقد أنني أدركت أن في

الأمر سوء تفاهم منذ البداية.. فعلى أي حال، أنا أعرفك.. لا يمكن أن تكشفي عن أسرار شخصية، حتى وإن للانتقام مني.. أنت.. ايف؟».

ورأى كيف أشاحت برأسها إلى الأسفل وكيف أبعدت عينيها عنه.. فكرر: «ايف؟».

كان السؤال الرقيق يفوق تحملها. فغطت وجهها بيدها بحركة دفاعية. وهي تحاول إخفاء الدموع التي أحرقت عينيها.. لقد قال «إنه يعرف» فأصابت هذه الكلمات قلبها مباشرة بطعنة مريرة.

ـ ايف!

أنبأتها حدة صوته أن حركتها الدفاعية لم تكن دون جدوى. كان يعي مشاعرها جيداً، وعبر ضبابة من الدموع أحست به ينظر إلى غرفة التوأم قبل أن يلف ذراعه حولها ويقودها عبر الممر إلى إحدى الغرف الأخرى.. غريزة ما قادته ليختار غرفة نومها، فرفس الباب خلفهما، وضمها بين ذراعيه.

ـ لا بأس عليك يا حبيبة قلبي.. أفهمك.. لا تبكي.. أنا هنا ايف حبيبتي.. أنا إلى جانبك..

وانفجرت ايف، وقد فقدت السيطرة على نفسها:

ـ هذه هي المشكلة بالضبط! كنت قد توصّلت إلى نوع من الأمان.. والرضى..

كانت كلا الكلمتين صحيحتين.

ـ كنت أتدبر أمر نفسي..! لكنك جئت..

قال كايل بخشونة: «أمان؟ رضى.. تتدبرين أمر نفسك؟ أي نوع من الحياة هي هذه؟ أكنت تفضلين لو تركتك وشأنك.. لو تركتك تجهلين وجودي.. وتجهلين الحياة التي كانت لنا معاً؟».

عرفت ايف أنها كانت لترفض مثل هذا الاقتراح تماماً منذ خمسة أيام فقط.. لكنها الآن، وبعد أن اختبرت الأزمة الفكرية والعاطفية منذ ظهور كايل في حياتها، لم تعد متأكدة، ولم تعد تعرف ما تريد.

ـ ربما..

ـ لا يمكن أن تعني هذا!

كيف تحول صوته إلى هذه الخشونة؟ أهو الغضب، الكبرياء، أم الأسوأ؟ إحساس بالألم، اعتصر قلبها شفقة أو خوفاً..

صرخت بيأس: «لا أعرف!».

مرة أخرى لم تستطع استخدام سوى هاتين الكلمتين وحسب، فكررت: «لا أعرف!».

ـ لكنني أعرف.

واشتدت الذراعان حولها، تأسرانها إلى جسمه القوي النحيل.

ـ أعرف ايف.. ما كان بيننا لا يستحق أن نخسره، نحن خلقنا لبعضنا.. وبالرغم من كل شيء، أنت تعرفين هذا أيضاً.. لا يعقل أنك نسيت ذلك..

وأطبق عليها في عناق حار هز الحقيقة التي آمنت بها، فتعلقت بكتفيه كمصدر وحيد للثقة في عالم مجنون.

ـ كايل..

كان اسمه كل ما استطاعت التلفظ به.. لم تكن تعرف بتاتاً هل تحتج أم تشجعه على المزيد.. وفي ثانية، اضمحلت الأفكار المنطقية جميعها.. وأصبحت تحت رحمة أحاسيسها.

تمتم كايل بصوت متثاقل: «هكذا كنا يا ايف.. ولهذا السبب يجب أن نكون معاً..».

كان يتراجع نحو السرير، يجرها ويحملها في آن. بدا لها أن ساقيها قد شلتا أو عجزتا عن دعمها، وعرفت أنه لو تركها فستسقط في دوامة لا حول لها ولا طول على الأرض وكأنها دمية قطعت خيوطها.

عاد كايل يتمتم وأنفاسه الحارة على وجهها:

ـ هكذا كان الماضي.. هكذا كان.. وهكذا سيكون مجدداً.. صدقيني.

لكن، أيمكنها أن تصدقه؟ ما إن تسلل السؤال إلى رأسها، حتى لم يعد

من سبيل لتبعده، لقد دلت رغبتها أن علاقتهما كانت علاقة ملتهبة كما قال كايل.. لكن يجب أن يتوفر المزيد من الحقائق، فإذا كانت الرغبة بينهما حية لا تموت، فماذا مات إذن؟ حادثة ما اعترضتهما في الماضي.. حادثة قوية جداً، سلبتها ذاكرتها. لهذا، مهما بلغت المرات التي يكرر فيها أنه زوجها، ومهما كان نوع الدليل الذي يقدمه لها، سيبقى كايل غريباً تماماً عنها.

وبسرعة مدمرة، جال ذلك الإحساس الواقعي الفظيع في ذهن ايف وكأنه الأسيد، يحرق الحب المشبوب المثير، ويترك في مكانه يأساً بارداً متحجراً.

أحس كايل بتراجعها: «ايف..».

ـ لا!

ورفعت يديها بذعر عن صدره، وقد أعطاها اليأس قوة لم تعرف أنها تمتلكها، فوقعت إلى الوراء فوق السرير لقوة ردة فعلها.

وسمعت كايل يردد كلمة الرفض بصوت أجش مصدوم: «لا؟ ايف.. أنت..».

ـ قلت لا!

فركت ايف عينيها بقوة لتجلي نظرها، من دون أن تهتم كيف أفسدت تبرجها الرائع.

عانت جهداً ملحوظاً لتستعيد رباطة جأشها، وتسيطر على عواطفها، فخرجت الكلمات حارة باردة:

ـ لا أستطيع المضي في هذا!

ـ لا تستطيعين المضي في هذا؟ هل غزلي يقرفك إلى هذا الحد؟

ـ أجل..! لا!

لم تستطع النظر إليه، لم تتحمل رؤية الغضب الأسود الذي تملك وجهه، واشتعل في عينيه.

بدأت: «لا أريد..».

لكن الصدق والإحساس المعذب الذي اجتاح جسمها، بعد هدوء

العاصفة المشبوبة، التي شنها كايل، كل ذلك قطع كلماتها:

ـ لا أستطيع.. كايل.. أرجو أن تفهم.

ـ أوه أفهم تماماً..

صفعتها المرارة في صوته وكأنها السوط:

ـ لقد تخليت عني دون كلمة تفسير منذ سنتين.. ثم عدت إلى الظهور في حياتي، وتابعت اللعب بمشاعري.. تواجهيني بهبة ساخنة، ثم هبة باردة كما يحلو لك.. حسن جداً.. سأقول لك شيئاً، حبيبة قلبي...

وانقلب اسم التحبب إلى نعت سيء متوحش:

ـ من الأفضل أن تقرري ماذا تريدين، وبأسرع وقت، وإلا سينفد صبري.. لن أستطيع الاستمرار هكذا كثيراً، إما أنك تريديني، أو لا.. ولا يمكن أن تنفذي الأمور بطريقتين.. لذا من الأفضل أن تقومي بتفكير جدي.. لأنني أحتاج إلى الأجوبة.. وأحذرك، لن أنتظر إلى الأبد.

***

٥ ـ فجوة في قلبها

ـ متى يأتي كايل؟ لقد وعدنا أن يكون هنا باكراً!

وبختها دايان بلطف: «أكد أنه سيصل في التاسعة والنصف.. وعليك أن تدعيه بالسيد جنسن يا كورتني».

تدخلت كارولين توأم كورتني:

ـ أخبرنا أنه يمكننا أن نناديه كايل! ولقد وعدنا أن يأخذنا إلى متحف التاريخ الطبيعي، وإلى مدام توساود اليوم. هل نستطيع الذهاب لنتأكد من مجيئه؟

ـ ما زال الوقت مبكر جداً.. أوه حسن جداً.. اذهبا!

وضحكت دايان، وهي تهز رأسها باستسلام حين ترجلت التوأم عن كرسيهما، متجهتان إلى الباب.

كان الجميع يحيطون بمائدة إفطار قل وجودها في يوم السبت. فقال جيم:

ـ يبدو أن كايل هذا اكتشاف هام.. على الأقل لابنتيّ.

ثم التفت إلى ايف مبتسماً:

ـ أتدركين أن اسم كايل يتردد على مسامعنا كل يوم منذ بضعة أسابيع؟

أرادت ايف أن تحتج. إنه ليس لي.. لكنها ابتلعت الكلمات، لأنه ما زال، «رسمياً» على الأقل، زوجها.. وها هي عائلة بونيت تكن له حباً كبيراً.. فلم لا تفعل هي هذا؟

لم تستطع أن تجيب عن هذا السؤال.. فجيم ودايان لا يعرفان كايل

أكثر مما تعرفه هي، بل أقل بدرجات.. وهما أكثر استعداداً لاستقباله.. لكنهما أيضاً غير مضطرين إلى تحمل الإحساس المخيف الذي يتسلل إلى أحشائها في كل مرة يظهر فيها، وهو شعور لن يفارقها حتى تعرف الحقيقة الكاملة حول علاقتهما.

صرخت الفتاتان ببهجة من الردهة: «إنه هنا! كايل هنا!».

وفكرت ايف أنه وصل باكراً، وما لبثت أن أحست بموجة قلق، فسارعت إلى المرآة وهي تتأمل نفسها بتمعن.

شعرت دايان بتوترها فقالت بلهجة دافئة مطمئنة:

ـ تبدين رائعة!

تنهدت ايف: «لست واثقة أبداً أنني سأبدو يوماً رائعة في نظر كايل.. فهو لم يسامحني بعد لرفضي تلك الملابس».

لكن الحقيقة، أن المسألة لا تتعلق بالملابس فقط، فقضية وظيفتها لم تحل بعد.. فقد التزمت ايف بقرارها بعناد وأصرت على الاستمرار بالعمل في المكتبة، ولو أن المصروف الذي عرضه عليها كايل، كان يفوق مرتبها بأضعاف.

خلال الأسابيع الخمسة الماضية، ازدادت معرفتها بكايل عمقاً.. فأعجبت بذكائه ومرحه، وكرمه وصبره، لا بل فوجئت بتلك الصفات. في ظروف أخرى، كانت لتؤكد أنها معجبة به كثيراً.. لكن هذه ليست بظروف عادية.. فما زالت حلقة أساسية مفقودة.. وراحت تتساءل ماذا يخفي وراء القناع اللطيف المتمدن التي يبرزه لها، ولبقية العالم.. وماذا عن دوافعه؟ وسرعان ما أنبها ضميرها لتلك الأسئلة المبالغ فيها، لا بل الظالمة لهما. ففي أعماقها، كانت تعرف أنها تحاول أن تجد فيه عيباً كي تبرر مشاعرها الداخلية..

ـ صباح الخير ايف.. كيف حالك اليوم؟

دفنت ايف أفكارها السيئة وراء ابتسامة قصيرة مضيئة، ردت بها على تحية كايل: «أوه.. أنا بخير».

ـ هل أنت مستعدة لنزهة في الطبيعة؟

تمكنت أخيراً من تمتمة بضع كلمات وكأنها الموافقة. . لكن الحقيقة كانت غير ذلك. فمنذ وقف كايل عند باب الغرفة وعيناها لا تفارقان جسده الطويل الأسمر، لقد كان حقاً جذاباً بشكل قاتل! واعترفت بهذا في سرها، وهي تعرف أن لا مجال للإنكار، فأي امرأة طبيعية تفخر بمرافقة هذا الرجل.

لكن ايف لم تكن بحاجة إلى النساء لتثبت مشاعرها، فتذكرت كيف استجابت لكايل بسرعة. وهي لم تنس طبعاً كيف كبح كايل غزله لها، فاقتصر على قبلات اعتيادية قصيرة في نهاية كل زيارة. . ترى، هل كان يقصد أن يشعرها بالإحباط؟

ـ حسن جداً. . أحضري معطفك إذن، وسنخرج.

عادت ايف إلى أرض الواقع، فمنحته ابتسامة قصيرة أخرى، وهي تتساءل كيف يمكنه أن يتحكم بصوته وتصرفاته، كيف نجح في إخفاء كل خيوط علاقتهما المعقدة خلف قناع من الاسترخاء السهل، بعيد كل البعد عن حالتها. ترى، أهذا هو ما يحسه فعلاً؟ لا بد أنه يشعر بشيء ما، وإن لم يكن يعاني من الكرب نفسه الذي يجتاحها.

ـ هل أحضرتما سترتيكما. . أيتها المتوحشتين المرعبتين!

اخترق صوت كايل أفكارها وهو يخاطب التوأم بمداعبة مرحة. وعبثاً، راحت تجاهد لإظهار درجة من الحماس تتناسب وبهجة الفتاتين. ثم أحضرت معطفها من المشجب في الردهة.

وظهر كايل إلى جانبها: «دعيني أقوم بهذا. . ».

تناول المعطف القصير العاجي اللون من يدها استعداداً لتدس ذراعيها فيه.

ـ شكراً. .

كان يمكن لأي شخص أن يظن أن الحركة الصغيرة التي بدرت عنها، تمثل جهداً عظيماً. . بعد لحظات، نظرت إلى صورتها في المرآة بشيء من

القلق. . لم يكن لتدفق اللون إلى خديها، أو لبريق عينيها، أي دخل بجهدها، بل لقربها من هذا الرجل. بدا شعره الأسود وكأنه يلامس خصلاتها، فيما عيناه العميقتان تلتقيان بعينيها في المرآة. بلطف وإثارة، لامس القماش الصوفي على كتفيها، وأزاح بنعومة خصلة على الياقة. . وفجأة، أحست ايف بضربات قلبها تتسارع حتى تبلغ مسامع كايل، وأنه يعي السرعة المضطربة لأنفاسها.

ما الذي يحدث لها بحق السماء؟ وكأنها أعشاب جففتها حرارة الصيف. . لا تحتاج سوى إلى لمسة من عود ثقاب لتشتعل. لم تفكر أنها قد تمسي يوماً على هذا النحو. . لكن، كيف لها أن تعرف نفسها حقاً من دون ماضٍ تتذكره؟

شعرت ايف بالألم من نظرات كايل، عبر المرآة. وبجهد، دفعت عنها أفكارها المضطربة، ثم أرسلت ابتسامة مضيئة لانعكاس عينيه في الزجاج.

ـ أنا مستعدة! هيا نذهب!

كان صوتها مرتفعاً جداً، وكأنه يفضح أمرها. وسرعان ما ابتعدت عن كايل، مثلما يبتعد المرء عن نار أصبحت فجأة شديدة الحرارة.

نعم، هذا هو شعورها. . لكن، أحقاً تريد الذهاب في هذه الرحلة؟

لكن التوأم كانتا تنتظران هذا اليوم على أحر من الجمر منذ بداية الأسبوع. إذن، من الأفضل لها أن تحافظ على رباطة جأشها وتجاهد لتتمتع باليوم الذي ينتظرها.

في النهاية، ألفت الراحة تتسلل إليها فعلاً. . أولاً. . كان التوأم في غاية السعادة لركوب سيارة كايل القوية اللماعة، فصرفت النظر عن التوتر الذي تحس به. وحين وصلوا إلى متحف التاريخ الطبيعي، كان قلقها قد خفّ بشكل كبير، بحيث أنها كانت تلحق بالفتاتين من طابق إلى آخر بالحماسة ذاتها التي تظهرانها. . ولم تضعف سوى بعد ساعتين حين بدأ التعب يساورها.

قال كايل: «فلنأخذ استراحة للقهوة. . وإلا لن نملك طاقة لزيارة

«توساود».

وفيما هما في الطريق إلى متحف الشمع، قالت له ايف:

ـ أنت خبير في التعامل مع الأطفال.. يجب أن أعترف أن الأسئلة التي لا تتوقف تزعج أحياناً... علي أن أعترف أنني متأثرة بتصرفك.. فهل تملك خبرة مع الأولاد؟

وجه إليها نظرة جانبية من عينيه البنيتين الداكنتين، قبل أن يرد ببطء:

«أنا عمّ لابنة أخ في الرابعة من عمرها تمتلكني في لحظة..».

ظللت صوته آثار قاتمة لم تستطع تفسيرها، فتلوت ايف بعصبية في استجابة غريزية.

ـ واضح أنك تحبها كثيراً.

ـ أجل.

كانت الكلمة الوحيدة جازمة إلى درجة الفظاظة.. ولم يكن ينظر إليها، بل كان يحدق في الفتاتين قرب تمثال شمعي لمايكل جاكسون.. وأحست ايف بانطباع قوي أنه لم يكن يراها فعلاً.

هل فتحت جروحاً أخرى؟ يا إلهي! ألهذا دخل بتحطم زواجهما؟

ـ أكنت.. هل ترغب في الأولاد؟

مرة أخرى، اتجهت نحوها تلك العينان البنيتان، ثم سافرتا بعيداً مرة أخرى. رد بتوتر قاتم لم يبعث الراحة في ايف:

ـ لا أعتقد أن هذا سؤال مناسب في هذه المرحلة من علاقتنا.

لكنها أصرت: «هل رغبت.. وهل تريد..؟».

أحست وكأنها تسير في حقل ألغام قد ينفجر في وجهها في أية لحظة:

«أعني.. لو أننا..».

وجف صوتها بألم حين استدار كايل ليواجهها.

ـ إن كنت تقصدين هل أرغب في ولد منك.. فالرد نعم.. وهذا من أغلى الأماني على قلبي.. كان يجب أن تعرفي هذا.. اللعنة عليك!

أحست بالصدمة تخترقها.. وكأن كلماته كانت صفعات عنيفة

حقيقية.. ولم تستطع سوى أن تحدق فيه بذهول وكرب، بينما كان القناع المتمدن ينزلق عن وجهه، ليكشف عن دمار يخفيه.. طعنتها مشاعر كايل القوية كما نصل السكين المثلج ينغرز في القلب. وبدافع غريزي امتدت يدها لتلامس ذراعه.. كان السكين في قلبها يتوغل عمقاً، فيما هو يصد نظرة التعاطف بحركة عنيفة غاضبة.

ـ ماذا قلت؟ ماذا..؟

لكن السؤال لم يكتمل: «كايل.. ايف.. تعالا لتنظرا..».

أمسكت كارولين وكورتني ذراعيهما وقد أعمتهما الفرحة عن الجو المتوتر بين الراشدين.

ـ على المقعد الخشبي امرأة جالسة..

ـ لقد ظننا أنها حقيقية، وأنها نامت..

ـ يجب أن تلقيا نظرة!

وكما المذهولين، يستيقظان ليجدا نفسيهما في شارع مزدحم، لم يكن أمام كايل وايف أي خيار سوى الخضوع للتوأم، وإلقاء نظرة على تمثال الشمع الذي أبهجهما كثيراً.. من تلك اللحظة انتفت أي فرصة لحديث جديد. باستثناء الكلمات التي يتبادلها أي راشدين مسؤولين عن فتاتين في العاشرة من عمرهما، تجرانهما من تمثال إلى آخر، مذهولتين بتماثيل البلاط الملكي، ومشاهير أهل السياسة والكتّاب، وأخيراً غرفة الرعب.

قالت ايف مصممة: «لن أدخل إلى هنا.. إذهبا إذا أردتما.. لكن لا تلوماني لو داهمتكما كوابيس ليلية».

قال كايل: «سأعتني بهما.. ولن نتصرف بسوء».

وكانت هذه هي المرة الأولى التي يخاطبها فيها مباشرة. بإمكانها أن تثق به. ثم تحركوا بعيداً، فيما كل من التوأم تمسك بيد كايل.. لزوجها هذا، غريزة رائعة نحو الأولاد.. أو على الأقل، التوأم.. لقد تصرف طيلة اليوم وكأنه العم أو الخال المثالي، وقد أمضت الفتاتان وقتاً ممتعاً.. لكن، بعد لحظة، تغير مزاجها حين تذكرت ردة فعل كايل على تعليقها منذ قليل.

لكن الذنب كان ذنبها.. فهو لا شك لم يكن مستعداً للحديث عن الأولاد، ولا تستطيع أن تلوم سوى نفسها على تفجر الأمور في وجهها.

والمشكلة أنها لا تعرف كيف تتصرف مع هذا الرجل. صحيح أنه زوجها قانوناً، إلا أنه ما زال مجهولاً بالنسبة لها.. لا شك في أن هذا الرجل يحتل مكاناً مهماً في حياتها.. فهي تشعر بالراحة في رفقته، لا بل وتتمتع بوقتها أحياناً، مثل هذا اليوم.. إلى أن أشعل سؤالها الفظ ذلك الانفجار.

لكن كايل، الزوج، الحبيب، مسألة مختلفة تماماً.. ومع أنها تعرف جيداً أن عليها التفكير بالحب في يوم ما، لكنها تبعد هذه المرحلة بانتظار أن تصبح أكثر قوة واستعداداً لمواجهة الوقائع.

أما الآن، فقد اقتربت كثيراً من خرق الصمت الضمني الذي بنياه حول ذلك الموضوع.. إذن لماذا حولته فكرة إنجاب الأولاد، إلى رجل حساس بهذا الشكل؟ لقد أعلن كايل بصراحة صدمتها، أنه أراد طفلاً.. أكان هذا سبباً لعزلتهما؟ ألم ترغب هي في ذلك؟

انقطعت أفكار ايف المزعجة مع عودة التوأم.. كانت كارولين تبدو شاحبة بينما كورتني تواصل رأيها بقوة أكبر.

ـ كان هذا مقرفاً.

قالت ايف وهي تعبث بشعر كارولين البني: «حسن جداً.. لقد حذرتكما».

ـ أتمنى لو بقيت معك ايف.

ضمت ايف الفتاة وهي تواسيها: «لم يكن هناك أناس حقيقيون حبيبتي.. كلهم تماثيل شمع..».

ولم تعرف لماذا رفعت نظرها في تلك اللحظة إلى العينين السوداوين المتفرستين.. فاستعادت الطريقة التي استدار فيها إليها منذ وقت قصير، ليبعث فيها حزناً وانزعاج. فعادت تصب اهتمامها على التوأم هرباً من نظراته.

قال كايل: «والآن أعتقد أن الوقت حان لنعود إلى المنزل.. أليس

كذلك؟ الوقت تأخر، وأمامنا مسافة طويلة حتى موقف السيارات».

وجهت كورتني سؤالاً إلى كايل: «أوه.. هل يمكن أن نذهب بقطار النفق..».

أضافت التوأم الآخر: «أوه.. أرجوك. فلا تتاح لنا فرصة الركوب في القطار دائماً».

قال كايل بكل استعداد: «طبعاً نستطيع.. لكن عليكما قراءة الخريطة لتخبراني أي طريق نسلك لنصل إلى هناك».

وما إن أخذهما إلى المحطة تحت الأرض، حتى أخذت الفتاتان تتناقشان حول الطريق.

قالت ايف لكايل فيما الفتاتان تقرران:

ـ لقد تمتعنا فعلاً.. شكراً لك كثيراً.. مع أننا نسكن خارج لندن تماماً، إلا أن المال عادة قليل جداً ولا يسمح بكثير من الرحلات إلى منتصف المدينة.. لذا فرحلة بقطار الأنفاق مغامرة جديدة.. لقد كان لليوم كله.. نكهة مميزة.

رد بكل سهولة: «كان هذا من دواعي سعادتي..».

وبتشجيع من صوته الدافىء، تمسكت ايف بشجاعتها: «كايل.. بالحديث عن كلامنا قبل وقت قصير».

قاطعها بسرعة: «لا.. يجب أن أعتذر.. لقد نسيت نفسي وبالغت في ردة فعلي.. أنا آسف..».

ثم خاطب الفتاتين: «هل اتخذتما قراراً؟».

وهكذا انتهى الحديث.. ما من مزيد يقال في هذا الموضوع. حسن جداً، إذا كان هذا ما يريده، فلن تجادل.. لكنها كانت تعرف في أعماقها أن القلق والاهتمام الذي أثاره كايل لن يزول بمجرد كلمات..

كان القطار مزدحماً جداً.. لذا كانوا محظوظين بالوقوع على مقاعد شاغرة.. وابتسمت ايف بابتهاج لمراقبتهما تتحدثان بحرارة.. ثم استدارت متحمسة إلى رفيقها.

لأول مرة، كانت البهجة مرسومة على وجهها بجلاء من دون أي إحساس يردعها:

ـ شكراً لك مرة أخرى على هذا اليوم! لقد حولته إلى يوم مميز للتوأم!

ـ لقد تمتعت به كذلك.. وأحببت رفقتهما، إنهما فتاتان رائعتان.

ولانت العينان البنيتان القاتمتان، وامتلأتا دفئاً.. أزال برودته السابقة.

ـ ولقد تعلقنا بك.. أيضاً.

ما إن تلفظت بالكلمات، حتى أدركت خطأها..

رد كايل بنعومة: «وماذا عنك ايف؟ هل تتعلقين بي كذلك؟».

باتت شفتا ايف جافتين، فبللتهما بتوتر. وفجأة اختفى صليل عجلات القطار وهو ينطلق في الظلام، وضجيج بقية الركاب حولهما، كل هذا ضاع وأمسى ضباباً كاذباً..

ـ لست أدري.. أحتاج إلى المزيد من الوقت..

ـ لم تحتاجي إلى أي وقت حين التقينا أول مرة.

لفحتها أنفاس كايل في أذنها.

ـ لم تترددي يومها.. وأعرف أنك تتذكرين هذا.

كان الاحتجاج حاداً، وسريعاً: «لا! أنا لا أتذكر شيئاً!».

ـ لكن لاوعيك يتذكر.. أعرف.. لقد قرأته في كتابك.

أغمضت ايف عينيها أمام الذعر الذي اجتاحها.. بعد ذلك الحديث المتفجر في الليلة الأولى التي جاء فيها إلى المنزل، لم يعد كايل يذكر كتابها.. لكنها كانت تعرف أنه لم ينس.. ولا هي نسيت.. كم من مرة أعادت قراءة ما كتبت، وكم من مرة اشتعلت بشرتها، وارتفع الدم إلى وجنتيها..

ـ كنت يومها شخصاً مختلفاً.. ولست أدري من أنا الآن. ما كتبته في الكتاب لا يبدو لي حقيقياً.. أنا لا أشعر به.. وبكل تأكيد، لا أشعر به نحوك!

هذا غير صحيح.. فأنبها ضميرها بحدة. عاطفياً كانت قسوتها جارحة، لا تعرف ما تفكر أو تشعر به.. لكن، جسدياً، لم يكن لديها أدنى

شك في استجابتها لكل ما كان يشعله كايل فيها، لكنها لا بد أوحت له بالعكس تماماً. ففجأة، جف الدفء من تعبير كايل، وقست عيناه لتصبحان شظيتين من الثلج الأسود، ثم تراجع في مقعده، ينزوي عنها جسدياً، وفكرياً. فأحست ايف وكأن باباً صفق في وجهها..

سيطر التوتر على بقية الرحلة إلى المنزل، فامتنت ايف بعمق لوجود التوأم، اللتين لم تدركا الصمت بين الراشدين.. فتابعتا الحديث الهاذر حول مباهج اليوم دون كابح، فيما هي منصلبة في مقعدها.

ما إن وصلوا المنزل، حتى سارعت الفتاتان إلى الداخل، وهما تمطران والديهما بحديث مبهج، وكل واحدة منهما تنافس الأخرى للفت الاهتمام إلى أن أسكتتهما دايان بنفاذ صبر.

ـ أصمتا لدقيقة واحدة أيتها المتوحشتان! كايل.. يبدو أنهما أمضتا وقتاً رائعاً.. كيف يمكن أن أشكرك؟ ألن تدخل لشرب الشاي؟

هز كايل رأسه الأسود الشعر بحزم، وقال بغموض: «لن أتجاوز مدة الترحيب بي.. لدي أعمال أقوم بها..».

ولم يذكر زيارة أخرى.. أدركت ايف هذا وهو يستدير نحو سيارته، وصدمها الألم وخيبة الأمل، اللذين تسببت بهما.

وفيما هي تقاوم المشاعر المؤلمة التي أيقظها فيها رحيل كايل، استدار فجأة ليواجهها:

ـ سآخذك إلى العشاء ليلة الغد.. كاحتفال مبكر بعيد ميلادك.. لقد وعدتك باصطحابك إلى مكان مميز، سآتي لآخذك في الثامنة.

ـ إذا شئت.

كان ردها مريراً.. في الواقع ليست هذه بدعوة أبداً.. بل لكأنه يأمرها.. مع ذلك، فقد راح قلبها يخفق استجابة لإعلانه المتحجر، فعرفت أن مثل هذه التفاصيل لا تهم، يكفي أنه يرغب في رؤيتها مجدداً. كانت تتوقع أن يكون اليوم التالي قاتماً وموحشاً، فإذا به فجأة مشرقاً وصافياً، وكأن الشمس أشرقت فجأة من خلف غيمة كثيفة سوداء.

وأكدت له: «سأكون حاضرة».

وفيما هي تراقب سيارته تبتعد، راحت تتساءل إن كان سيعود أبداً لو لم يتذكر وعده لها.. تملكها الخوف في القطار، وخشيت أن تبعده كلماتها إلى الأبد، لا سيما للألم العظيم الذي كانت تحتويه..

هل تحتاج فعلاً إلى ذلك الوقت الذي أصرّت عليه؟ أليس في الواقع أنها، على وشك خسارة قلبها لمصلحة كايل؟ أم أنها تقصد أنها ستخسره مجدداً؟ لن تستطيع أن تجد رداً بسهولة، لكن في أعماقها كانت تعرف أن الأمر لا يهم في كلتا الحالين.. فهي ما زالت لا تتذكر كايل جنسن زوجاً.. ولا تتذكر ما كانت عليه علاقتهما من قبل، لكنها تعرف أنه لو خرج من حياتها الآن، فسيحدث فيها فجوة عميقة ضخمة، من المستحيل ردمها.

***

٦ ـ الهدية المكسورة

عند تمام الساعة الثامنة في الليلة التالية، نزلت ايف إلى الطابق الأسفل. وما إن رأتها كارولين حتى صرخت باهتياج:

ـ واو.. ايف! تبدين كعارضة أزياء!

استدارت ايف على نفسها فوق الدرجة الأخيرة من السلم: «هل أعجبك؟».

دخل جيم إلى باب غرفة الجلوس يستطلع صراخ ابنته، وما إن رأى ايف حتى صفر لها إعجاباً.. وقال:

ـ مثير.. للإعجاب!.. تبدين مذهلة تماماً.. فتاة لعيد ميلاد.

انحنت ايف بتحية سريعة: «شكراً لك.. سيدي اللطيف».

خرجت دايان من المطبخ لتقف إلى جانب ايف، وهي تتفحص مظهرها برضى: «ألست مسرورة لأننا دفعناك لشراء هذا الفستان!».

كانت ايف قد شاهدت الفستان في محل أزياء محلي وأحبته، منذ أسابيع.. لكنه كان بعيداً عن منالها وفق ميزانيتها المحدودة، لكن، منذ أسبوع ذكر كايل عشاء عيد ميلادها.. ولحسن حظها، اكتشفت أن الفستان لا يزال في المحل، لا بل معروض للبيع بأسعار مخفضة.. وحين أعلن جيم ودايان أن فرق السعر سيكون هدية عيد ميلادها، لم يعد من قرار آخر تتخذه.

سألت: «ألا تعتقدان أنه رسمي جداً لمثل هذه الليلة؟».

ولم يكن هذا ما تعنيه حقاً.. والأصوب أن تقول إنه فاضح قليلاً..

ـ لا . . لا أعتقد هذا.

أنبأتها لهجة دايان أنها تعرف بالضبط ما تعنيه صديقتها: «صدقيني حبي . . سوف تسلبين عقله».

ولهذا السبب بالذات تراها تشعر بالقلق. اعترفت ايف بهذا لنفسها، وهي تلقي نظرة شك أخرى على انعكاس صورتها في مرآة الردهة . .

هل تريد حقاً أن تحدث هذا التأثير على كايل؟ هل تريده أن ينظر إليها كامرأة . . والأكثر من هذا . . كامرأة أنثوية مثيرة؟

ارتجفت ايف مع قشعريرة إدراك تسللت إلى ظهرها . . فلو كانت وكايل، رجل وزوجة، فمن الواضح إذن، أنهما تشاركا علاقة حميمة . . لكن المشكلة الآن، أنها لا تذكر أبداً مثل هذه التفاصيل الحميمة . . ولذا فهي بريئة، ولو فكرياً على الأقل، وغير خبيرة، مثلها مثل أية عذراء.

وقررت: هذا لا يفيد، وانكمشت معدتها بعصبية . . لن تستطيع مواجهة كايل على هذا النحو، يجب أن تغير ملابسها. لكن، في تلك اللحظة بالذات أنبأها إقفال باب سيارة في الشارع أن الوقت تأخر كثيراً . . وبعد برهة، تصاعد صوت كورتني عالياً حتى غلب على رنين جرس الباب.

ـ كايل هنا!

بالرغم من الدفء الذي يغمر الغرفة، أحست ايف برجفة برد. إذن، لقد جاء. راحت نبضاتها تتسارع فجأة فيما وجهها موشح بلون وردي، فعرفت كم يعني لها وصوله، ففي أسابيع قصيرة أصبح مهماً جداً في حياتها . . وفي هذه الأثناء، قررت أن تشعره بترحيبها، وتحاول أن تمحو كل التوتر والبرود الذي برز بينهما بالأمس . . وهكذا، وضعت بتصميم ابتسامة على وجهها، وفتحت الباب.

أعلنت بخفة كانت بعيدة عن الإحساس بها: «توقيت ممتاز!».

كان الصمت الذي تلى تحيتها، قصيراً جداً . . قصير إلى درجة أنها لو لم تكن متأثرة جداً بكل ما حولها، لشكت في صمتها. أما كايل، فبعد أن استعاد وعيه، قدم لها باقة ورد كبيرة: «عيد ميلاد سعيد . . ولو قبل

يومين . . ».

ـ أوه . . كايل . . كم هي جميلة!

أفلتت صيحة الابتهاج منها بعفوية فشكرت الله لأن صوتها يبدو طبيعياً أكثر من قبل. كانت فعلاً ممتنة للورود، لا سيما أنها استخدمت عطرها كعذر لتخفي رأسها في جمالها العطر، وتتجنب النظر إلى كايل.

ولم يخف عليها في اللحظة التي فتحت فيها الباب، التغيير الذي مر على وجهه وأضاء عينيه عليها. وأحست في الممر بنظراته تتفرسها من رأسها الأشقر اللماع، ثم تتحرك ببطء، نزولاً على وجهها المتورد، وخطوط عنقها الرقيقة، فإلى الكتفين الناعمتين الزهريتين اللتين يكشف عنهما الفستان . .

ارتاحت ايف لاجتماع عائلة بينيت كلها لتحية كايل . . وإلا، من يدري ماذا كان يمكن أن يحدث؟ ففي اللحظة التي التقت عيناها بعيني كايل البنيتين العميقتين، بدأت استجابة متشوقة تتفتح في أعماقها.

قال: «أنا مسرور أنها أعجبتك . . . ».

بدا صوته خشناً وأجشاً . . وكأن أوتاره الصوتية مجروحة . . كان يتكلم فيما عيناه البنيتان القاتمتان متشابكتان مع العينين الزرقاوين . . وما لبث خدا ايف أن تلونا بلون أحمر يشبه احمرار الورود.

ارتفع صوت كارولين سخطاً وخيبة أمل، ليكسر حدة الجو المشحون: «هه! زهور! كنت واثقة أنك ستهديها شيئاً مميزاً».

وتبدد التوتر . . وتناهى إلى مسامع ايف صوت كايل المرتجف يقول: «أنا آسف لخيبة أملك كارو . . في المرة القادمة سأجيء بالألماس».

وما لبث أن استعاد قوة صوته ورباطة جأشه: «إضافة إلى هذا، هذه هدية مبكرة . . وكما تعرفين فعيد ميلاد ايف يوم الأربعاء».

ـ إذن، ستقدم لها هدية مناسبة يومها؟

ـ سأفعل.

أخيراً وجدت ايف القوة لترفع وجهها الحار عن الدرع العطر. فاتجهت نظرة نصف ضاحكة، نصف مقيمة نحو خديها المحمرين، ثم سأل كايل:

«لو اشتريت لك الألماس ايف.. فهل تقبلين؟».

كان سؤاله ينطوي على ما هو أكثر بكثير. فجأة، أحست كأنهما أصبحا وحدهما في الغرفة.. فأدركت أن خلف سؤاله مجموعة من التلميحات والمضاعفات.

حثها كايل بصوت أجش: «ايف؟».

لم تعرف كيف تجيبه، كانت غرائزها البدائية تحثها على الاستجابة.. لكن هل تستطيع أن تثق بهذه المشاعر؟ منذ ثوان مضت، لأقدمت على ذلك دون تردد.. لكنها الآن، ترددت لبرهة أطول بقليل.. وسمحت للمنطق أن يقاوم.

وأخيراً تمتمت: «اسألني هذا يوم الأربعاء».

قرأت في عبوسه السريع أنه لم يكتف بردها.. لكنه لم يملك سوى أن يقبل. سيما وأن ايف في تلك اللحظة، أشاحت بنظرها عنه، واستدارت نحو المطبخ.

ـ سأضع الباقة في الماء..

وبينما هي تبحث عن مزهرية مناسبة، قامت باستجماع أفكارها، ثم نفضت عنها المزاج العاطفي الغريب الذي استبد بها منذ وصول كايل.

لكن دايان اعترضت طريقها:

ـ أوه لا.. لن تفعلي هذا.. سأهتم بها.. اذهبي في طريقك.. ولتمضي وقتاً جميلاً..

ـ سأعود في الساعة..

دفعتها صديقتها إلى الباب: «أوه.. هيا اخرجي.. أنا لست والدتك! وتعرفين أنك لن تستيقظي من النوم غداً في ساعة مبكرة.. فغداً يوم إجازة».

تمتم كايل، وهو يفتح لها باب السيارة: «محاولة جيدة.. لكني لا أنقلب إلى ذئب مفترس عند منتصف الليل».

بالرغم من صوته الناعم، التقطت ايف الغضب الذي كان يتخلل

كلماته.

قالت: «لم أكن أعني..».

لكنه أقفل الباب في وجهها موقفاً محاولة التفسير.

لعل هذا أفضل.. ودار كايل حول السيارة حتى وصل إلى مقعد السائق.. على أي حال، لن تعرف السبيل إلى الشرح من دون الخوض في دوامة من التعقيدات لم تكن مستعدة للتعامل معها.

وماذا يمكن أن تقول؟ أشعر بالقلق من قضاء الأمسية معك، وأنا لا أثق بنفسي؟ ستكون هذه هي الحقيقة على الأقل.. وأصابها التوتر لمجرد التفكير باستجابة كايل لكلامها.

سألت بارتباك وهي تريد كسر الصمت المزعج: «إلى أين نحن ذاهبان؟».

بدا وجه كايل في نور المساء، مشوباً بالظلال. وسرعان ما ألقى عليها نظرة جانبية سريعة قبل أن يرد: «إلى مكان أعرفه.. هادىء جداً.. وخاص جداً».

ـ إذن، هل يسمحون لك بالدخول؟

وأشارت إلى ياقة قميصه الأخضر المفتوحة.. ثم تمنت على الفور لو أنها لم تفعل، إذ وقع بصرها على عنقه القوي وصدره المكشوف تحت النور. وأحست فجأة بحرارة حارقة، وكأنها أسيرة حمى مشتعلة.

وفيما كان كايل يعبس بسؤال صامت، أكملت بصعوبة: «من دون ربطة عنق..».

ـ أوه.. هذا..

لسبب ما، بدا أنه يتسلى بتوترها والتوى فمه عند الزاوية.

ـ لا.. ما من مشكلة.. فأنا.. معروف هناك.

فيما بعد، أخذت ايف تفكر بسذاجتها وقلة درايتها.. لكنها لم تشك، ولو للحظة واحدة، بما كان يجول في ذهنه.. لقد صدقت أنهما يتجهان إلى قلب لندن، نحو مطعم فخم غالي الثمن. وحين تابع كايل القيادة دون

توقف، نظرت حولها بمزيج من الدهشة والخوف. فجأة وصلت السيارة إلى منحدر، ثم توقفت في مرآب للسيارات تحت الأرض.

خرجا من السيارة، وأمسك كايل ذراعها ليقودها إلى مصعد قريب، فسألته مترددة: «أين نحن؟ هل المسافة بعيدة إلى المطعم؟».

ضغط كايل زر المصعد لينطلق بسرعة إلى الأعلى:

ـ أبداً.. كما قلت، أريد أن آخذك إلى مكان مميز، حيث لا يزعجنا أحد.

أنهى كلامه مع توقف المصعد، وفجأة انفتحت الأبواب. خطت ايف نحو ردهة رخامية، ونظرت حولها بشيء من الارتباك، ثم حل عليها الإدراك أخيراً حين أخرج كايل مفتاحاً من جيبه ودسه في الباب المقابل.

أعلنت بسخرية لاذعة: «مكان تعرفه!».

لا عجب أنه لم يكن يبالي بثيابه العادية.

ـ مكان هادىء.. وخصوصي!

هز كايل كتفيه من دون اكتراث لسخطها، ثم فتح الباب، وتراجع إلى الوراء ليتركها تتقدمه إلى الغرفة.

للحظة، استشاطت غضباً للطريقة التي خدعها بها، وودت لو تبدي عنادها، وتدق كعبيها في الأرض، ثم ترفض أن تتحرك.. لكن الفضول تغلب على غضبها، فخطت إلى الأمام نحو غرفة جلوس ضخمة.

على عكس الظلام الذي ساد في الخارج، كانت الأنوار والألوان أول ما وقع نظرها عليه. بين الوهج الساحر للخشب المصقول، واللون الأخضر والأزرق الذي يشع من الأثاث الناعم، والسجاد المتألق كالجوهر، أحست ايف بالدهشة، فلم تكن تتوقع أن هذا المنزل مسكن مؤقت لرجل أعمال أميركي. في الحقيقة، كان للغرفة إحساس دافىء ساكن، خالٍ من أي انطباع عصري.

راقبها كايل بصمت، وهي تتطلع حولها، من دون أن يعلق. لكنها كانت تعرف أن عينيه لم تفارقا وجهها.

سألها أخيراً وقد انتهت من تفحص المكان: «هل أعجبك؟».

ردت بحماس حقيقي: «إنه جميل!».

وفيما هي تدير وجهها إليه، اضطربت أفكارها بقلق..

قال كايل: «غرفة الطعام من هنا..».

لو أنه لاحظ تغيير مزاجها.. إلا أنه مضى يفتح باباً يكشف عن غرفة أخرى أصغر حجماً، مزينة بألوان فاتحة كتلك التي استخدمت في غرفة الجلوس.. وفي وسطها طاولة معدة سلفاً، بأدوات فضية لامعة، وكريستال رائع، مع شمعدان وزهور.

قال لايف: «لم أعد الطاولة.. ولا الوجبة كذلك.. أعرف كيف أطهو، لكن ليس بالمستوى المطلوب لهذه الليلة.. لذا طلبت من مطعم أن يوفر لي كل التحضيرات.. كل ما علي أن أفعله هو تسخين الحساء، ومراقبة جهاز التوقيت.. مما يذكرني..».

رفع كمه إلى الوراء، ونظر إلى الساعة الذهبية الرقيقة في معصمه:

ـ أمامنا حوالي العشرين دقيقة.. لذا دعيني آخذ سترتك، حتى تتمكني من الاسترخاء، هل ترغبين في شراب فيما أنت تنتظرين؟

قاومت ايف لتخفي توترها: «بكل سرور!».

وبسرعة، خلعت سترتها وأعطتها له من بعيد، وهي خائفة من ردة فعلها لو اقترب أكثر، أو لامسها..

ـ مياه غازية أرجوك.

ـ لمَ لا تجلسين.. سأحضر الشراب.

حين عاد كانت ايف تجلس في المقعد الذي أشار إليه.. بدت متصلبة وقد اختارت الجلوس على حافته، فيما الانزعاج ظاهر على وجهها.

سأل بحدة: «ما الأمر؟ هاك.. ربما هذا يساعدك».

أخذت ايف الكأس، واحتست جرعة من المياه الفوارة الصافية الباردة.. فاستجمعت شجاعتها بحيث وجدت القوة الداخلية لتستدير إلى كايل وتواجه نظرته المتفحصة.

سألت: «وهل من المفترض أن أعرف هذا المكان؟ أهو واحد آخر من مخططاتك لشفائي؟ إذا كان الأمر هكذا.. فإنك لم تنجح.. أنا لا أذكر هذه الشقة أبداً».

رد بنعومة وهو يتهالك على مقعد مقابل: «لا.. لم تكن هذه هي فكرتي أبداً.. ولو كانت فعلاً، لما جئت بك إلى هنا.. فأنت لم تري هذا المكان من قبل».

ـ لم أره؟

لم تستطع ايف إخفاء دهشتها.

التوى فم كايل سخرية: «لا.. لقد بعت المكان القديم منذ سنة.. كان جوه.. لا يعجبني».

جو مشحون بالذكريات التي لا يريدها. حاولت ايف أن تستند إلى الوراء براحة أكبر، لكنها لم تستطع أن تسترخي جيداً.. ومع أن كايل نفى ظنونها السابقة، إلا أنها ظلت تفكر أنه ما أحضرها إلى هنا، إلا لسبب خاص يفكر به.

قال كايل: «كنت أتساءل عن أمر..».

ضربت لهجته العفوية على أعصاب ايف الحساسة.

سألت متصلبة: «وما هو؟».

لكنها ندمت على سؤالها حين رأت ابتسامته الساخرة.

ـ ألا زلت ترين خطراً في كل ما أفعله؟ حقاً حبيبة قلبي.. يا لهذا العقل الصغير المرتاب الذي تمتلكينه.

ردت ايف بحدة، وقد آلمها وصفها «بالعقل الصغير»:

ـ قد أكون تسرعت ببعض الأمور في لقائنا الأول.. لكن الأمور مختلفة تماماً الآن.. وأنا مختلفة.

عبست بشدة حين ارتفع حاجبه الأسود، وكأنه يسألها كيف عرفت هذا. سألت: «إذن، ماذا كنت تريد أن تعرف؟».

ـ كنت أتساءل فقط.. هل تريدين مني أن أتصل ببعض أصدقائنا

القدامى.. أناس من..

ـ من الماضي تعني؟ لا.. لا أعتقد هذا، لكن شكراً للعرض.

ـ لكن ألا تظنين...

قالت بحدة: «كايل.. أرجوك لا تفعل.. بات كل شيء أكثر صعوبة مما تصورت يوماً. صعب علي أن أتقبل أنك تعرفني جيداً، في حين لا أستطيع تذكر شيء عنك. فكيف إذا واجهت أي مخلوق آخر في الوقت الحاضر؟».

ـ لكن، ألا يساعدك لقاء شخص آخر.. ألن يحث ذاكرتك، مثلاً؟

ـ لا أظن ذلك، على أي حال، إذا كنت لا أستطيع أن أتذكر زوجي.. فكيف لي أن أتذكر أي إنسان آخر؟ قد أخبرتني أن أفضل صديقة لي، سوزان، هاجرت إلى نيوزيلندة.

حين أخبرها كايل أن سوزان، التي شاركتها شقة صغيرة قبل أن تلتقي به، لم تعد تعيش في انكلترا، أصيبت ايف بصدمة.. فقد كانت تأمل أن يدور حديث حميم بين امرأة وصديقتها، ليعطيها نظرة داخلية على العلاقة التي ربطتها يوماً برجل يدعي أنه زوجها.

ـ دع عنك الأمر أرجوك، فأمامي ما يكفي لمواجهته الآن.

ظنت أن كايل سيجادلها أكثر، لكنه هز رأسه بصمت ثم وقف.

ـ من الأفضل أن أذهب لأتفحص وجبة الطعام.

ـ هل تحتاج إلى أية مساعدة؟

هز رأسه: «أعتقد أنني أستطيع تدبر الأمور، وأن أسخن الحساء بنفسي».

مع ذلك، تقدمت ايف نحو المطبخ خلفه، والكأس في يدها، ثم راحت تتفحص خشب السنديان المتناسق برضى وإعجاب.

ـ المكان لطيف.. وعملي.. لكنه ليس فعالاً.. هل كنا نقيم حفلات كثيرة حين كنا متزوجين؟

والتقطت قطعة جزر من قصعة سلطة محضرة وقضمتها.

عبس كايل لاستخدامها صيغة الماضي، لكنه أجاب وعيناه على وعاء الحساء الذي يحركه:

ـ كنا نقيم دائماً حفلات عمل.. لكن مع الأصدقاء، كان الأمر أكثر عفوية. ولو أننا بالطبع، كنا نرغب في قضاء الكثير من الوقت وحدنا.

التفتت العينان الأبنوسيتان إلى وجه ايف بنظرة مؤثرة، بحيث كادت ايف تختنق بالجزر الذي تأكله..

سألت، وهي تهدف أن تتلهى عن أفكارها.. وأفكاره: «ماذا سنتناول كطعام؟».

ـ حساء البقلة المائية، سلمون وتوت العليق.

هذا هو طعامها المفضل، إذن؟ لقد خطط للوجبة بحذر شديد. ومدت يدها اليسرى لتأخذ قطعة جزر أخرى. فجأة، تسمرت في مكانها وهي ترى أصبعها خالياً من أي خاتم، فخطرت لها فكرة جديدة.

ـ أين هو خاتم الزواج؟

جمدت يد كايل وهي تمسك الملعقة الخشبية.. وأحست ايف بالتوتر يتصاعد في جسمه الطويل، ويشد كل عضلة منه.. وفجأة أخذ الحساء يغلي، فأطفأ النار، ليتحرك ويصبه في قصعة محضرة.

بعد أن أكمل مهمته، تمتم بنبرة ناعمة تخالف ردة فعله الأولى، فيما لا يزال يدير لها ظهره: «إنه معي».

ـ معك؟ ولماذا؟ هل تركته هو الآخر؟

تمنت لو أن كايل يستدير.. كان من الصعب جداً أن تتكلم معه وهي لا تستطيع رؤية وجهه.

وضع القصعة على صينية، وهو يركز على عمله.. ثم قال: «لم ترتديه لبعض الوقت.. فهو لم يكن يناسب مقاس أصبعك تماماً».

ثار فضول ايف: «لم يكن يناسبه؟ كيف هذا؟».

أخيراً استدار كايل ليواجهها، لكن تعابير وجهه بدت حيادية..

ـ لقد سمنت قليلاً.. تعالي وتناولي هذا فيما هو ساخن.

حمل الصينية إلى غرفة الطعام وهو يتكلم، من دون أن يترك لأيف أي خيار سوى أن تلحق به.. لو أن وزنها ازداد هكذا، فلا بد أنها خسرته مرة أخرى عندما وجدت نفسها في المقهى

سألها كايل فجأة فيما هي تتقدم إلى جانبه: «لماذا تسألين عن الخاتم؟ هل تريدين استرجاعه؟».

لم تستطع ايف التفكير في الجواب.. لم تكن المسألة مسألة الخاتم، وهي تعرف هذا..

سألت مترددة: «وهل تريدني.. أن أسترجعه؟».

ـ يا له من سؤال غبي!

وصفق كايل الصينية فوق الطاولة، غير مهتم بالحساء فوق حافة القصعة. ثم استدار إليها، ونيران الغضب تشتعل في عينيه.

كانت كل كلمة تطعنها كخنجر حاد:

ـ وماذا تظنين أنك تفعلين هنا؟ لماذا تظنين أنني جئت أبحث عنك أصلاً؟ لو لم أكن أريدك، لتركتك، ولسعدت برحيلك.. لكنني لم أفعل.. بل أمضيت الأسابيع الأخيرة أحاول استعادتك إلى حياتي..

ـ لكن لماذا؟ لماذا تريدني أن أعود؟

تراجع رأس كايل إلى الوراء بحدة، وبدت عيناه العميقتان فارغتين بشكل غريب، فاضطربت ايف حين أدركت أنه مرتبك للمرة الأولى.

أخيراً قال: «أنت زوجتي!».

ردت ساخطة: «زوجتك؟ ومن تظن نفسك؟ أنت لا تمتلكني.. أنا لست عبدة!».

كان صوتها مرتجفاً دون أدنى شك، وراحت تكافح لتخفي ردة فعل أخرى أكثر غموضاً.. فمع أنها تستنكر بغضب لهجة التملك في كلماته القاسية «أنت زوجتي» إلا أنها لا تستطيع أن تنكر الصدمة الكهربائية المثيرة التي سرت في جسمها ما إن أعلن هذا الرجل القوي أنه مصمم على المطالبة بها كزوجة له.

ـ لقد رأيت الوثيقة . .

اشتعلت عينا ايف بنار زرقاء فوق خدين حمراوين .

ـ لقد ناقشنا هذا من قبل . . قطعة ورق لا تعني شيئاً من دون التزام عاطفي .

سألها بنعومة خطيرة : «وأنت تظنين أن لا وجود لتورط عاطفي؟» .

لكن ايف لم تنتبه إلى الإنذار الذي لمحت إليه لهجته الناعمة المنذرة بالشر : «أنا لم أرَ بعد أي شيء منه!» .

وأحست أن بدنها يقشعر تحت تأثير ابتسامته .

ـ إذن . . هذا ما تريدينه . .

وتحرك نحوها ، ثم رفع يده إلى خدها ، خفيفة كلمسة خيوط العنكبوت على وجهها ، وتمتم : «أوه ايف . . أنت عمياء جداً . . لا تستطيعين رؤية ما يواجهك . . أيعقل أن تسأليني لماذا أريدك عودتك؟ لكنك تعرفين الرد ، لقد قلت لك . . » .

ـ لا . . لم تقل لي شيئاً . .

ـ أوه . . لكنني قلت . . ليس حرفياً ربما . . لكن هكذا . .

ولامست شفتاه جبينها بنعومة شديدة .

ـ أو هكذا . .

وانتقلت قبلة كجناح فراشة إلى جفنيها المغمضين ، وأخرى على خديها ، وشهقت ايف شهقة صغيرة استجابة ، وشوقاً . . فاستجاب كايل فوراً للدعوة الصامتة . . وضمها بين ذراعيه القويتين في قبضة من فولاذ ، وراح يشدها إليه . .

وكأنها ، في لحظة ، فتحت له الباب على مصراعيه ، فاشتعل بشرارة حارقة ، وصلت إلى قرارة جسمها الداخلية ، لتحرك مشاعر مشتعلة بنار هائلة ، أذابت كل مقاومتها .

ـ لهذا أردتك أن تعودي ايف . . نحن رائعان معاً . . أنت وأنا زوجان سعيدان . . وما كان يجب أن نفترق .

عانقها مرة أخرى . . لكن بخشونة أقل ، سيما وأن لهفته قد لانت . . لكنه كان لا يزال يخفي حاجة ملحة أحست ايف معها وكأن روحها تكاد تخرج من جسدها . كان شوقها مثل قوة بدائية . . قوي جداً . . بدائي جداً ، لا يمكن نكرانه ، قال : «دعيني أعلمك ايف كيف كنا . . وكيف يمكن أن نكون مجدداً!» .

ثم ابتعد كايل عن الطاولة ، وهي لا تفارقه ، وقدماها لا تكاد ترتفعان عن السجادة . . فاحتضنها من غرفة الطعام عبر الممر ، ثم فتح باباً في النهاية .

لم تندهش ايف حين رأت نفسها في غرفة نوم كايل . . فقد كانت تعي تماماً إلى أين يأخذها . . ومع ذلك فقد أفاقت من سباتها .

لم يعد يهمها إن كانا متزوجين أو عاشا معاً لسنوات ثلاث . . بد الأمر بالنسبة لها ، وكأن شيئاً لم يكن . . كانت تحس وكأنها عذراء بريئة خائفة .

ـ لا . .

أفلتت منها الهمسة الضعيفة ، كخيط رفيع . . لكن كايل التقطها وتصلب على الفور .

سألها بنعومة : «لا؟» .

لم تعرف أية إشارة ظهرت على وجهها . . لكن قبضة كايل اشتدت فجأة ، وطغى على وجهه لون أسود ، وانعكس في عينيه لمعان محموم .

قال بلهجة مختلفة : «أوه . . لا ايف . . لقد فات الأوان لتغيري رأيك الآن . . لقد فات الأوان كثيراً . . » .

أمسك وجهها بكلتا يديه ، وأسرها بشوق ملح .

تمتم مرة أخرى : «فات الوقت كثيراً . . » .

رفع رأسه ينظر إلى عينيها البنفسجيتين الواسعتين :

ـ هكذا يجب أن نكون . . ايف! هكذا كنا ، وهكذا سنكون مجدداً . . وليذهب الماضي إلى الجحيم . . من يدري؟ ربما سننجح هنا حين لم ينجح أي شيء آخر . .

لكن ايف كانت قد تجاوزت مرحلة التركيز على كلامه. أرادته أن يصمت، أرادته أن يعانقها فقط.. وهكذا مدت يديها لتشبك أصابعها في شعره الأسود الحريري، تشد رأسه إلى رأسها.

كان لعناق كايل نكهة الانتصار، كانت عيناه تلمعان وهو يراقب استجابتها العاجزة.. فأغمضت عينيها.. وفضلت أن تركز على مشاعرها.

قال لها بصوت خشن: «لقد انتظرت طويلاً لهذا..! طويلاً جداً.. و.. أوه ايف.. لا أستطيع الانتظار أكثر من هذا!».

همست: «إذن.. لا تنتظر! أرجوك كايل.. لا تنتظر..».

***

عادت إلى وعيها ببطء شديد. وسكنت في حالة سبات، وهي غير قادرة على الحركة أو حتى التفكير. إلى جانبها تناهت إليها أنفاس كايل، فأدارت رأسها نحوه لتراه مسترخياً بعد الحرارة التي اشتعلت داخله.. بحركة كسولة، مدت أصابعها تداعب صدره وتتلقى تنهيدة استجابة.

قال: «لعلك تتذكرين الآن».

وفجأة، رن صوته في نفسها حتى قطع مزاجها الحساس، كما يقطع نصل السكين في الحرير.

سألت، هامسة: «ماذا تعني؟».

وسمعت ضحكته المنخفضة:

ـ أوه ايف.. حبيبة قلبي.. تعرفين تماماً ما أعني.. إذا كان من طريقة كي تتذكري.. وتكسري الجدار الذي بنيته حول نفسك، ثم يوقظك من حالة «الجمال النائم» الذي كنت فيه منذ سنتين.. فهي..

ـ تحاول أن تذكرني!

تصلبت ايف مصعوقة برعب وقد تدمر مزاجها المتكاسل تماماً.. وبات وجهها أصفر كوجه الأموات، وأضرمت عيناها الزرقاوان بلون البانسيه الداكن، كرباً.. وراحت تستعيد مجدداً كلمات كايل: «من يدري؟ ربما سننجح هنا حين لم ينجح أي شيء آخر..».

تمسك الألم بحنجرتها.. حتى كاد يخنقها فاضطرت إلى إخراج الكلمات بالقوة.

ـ كانت هذه تجربة! هذا ما كان يشغل تفكيرك طوال الوقت.. بل لهذا جئت بي إلى هنا.. إلى مكان لا يزعجنا فيه أحد، مكان تملك فيه فراشاً ملائماً! كيف تمكنت من هذا؟

وبدا القرف في صوتها. لكن كايل رد بلا مبالاة باردة: «كان هذا يستحق التجربة.. لا شيء غيره نجح».

ـ يستحق..

وخذلها صوتها.. وبصيحة غير مفهومة، رمت نفسها من فوق السرير، وانتزعت ثيابها عن الأرض وارتدتها بحركات مرتجفة.. فيما عيناها تحترقان بالدموع.. دونما رحمة، أخمدت الدموع في مهدها وهي تصمم ألا تدع كايل يرى الجرح الرهيب.

سألها كايل: «ماذا تفعلين؟».

ـ وماذا يبدو لك أنني أفعل؟ أنا راحلة، لا أطيق أن أبقى معك لحظة أطول.

قال بسخرية: «حسن جداً.. نحن نبالغ في ردة فعلنا.. أليس كذلك؟».

فما كان منها إلا أن شدت أسنانها لتمنع رغبة متوحشة في ضربه..

ـ ايف.. لقد كنا معاً..

لكنها لم تستطع أن تتركه يكمل الجملة بل ارتفع صوتها بحدة: «كنا معاً؟ لم يكن هذا شيئاً.. بل كان تجربة بدم بارد..».

ـ حسن جداً.. يبدو أنني أضعت جهودي سدى.. لم أنجح..

فجأة، ابتسم بشكل صارم.. ولف عينيه لمعان مثير..

ـ لعلنا نحاول مرة أخرى.

لم تستطع ايف أن تصدق قوله: «أبداً!».

أي نوع من الحيوانات هو؟

ـ لم تنجح . . لقد مررت بالتجربة المهينة، للا شيء!

وهذا ما أثار رداً . . كل العضلات في وجه كايل توترت . .

أكملت صائحة: «لكنها لن تتكرر ثانية! أبداً . . هل تسمع؟».

ومن دون أن تزعج نفسها في البحث عن جوربها، دست ايف قدميها في حذائها وأسرعت إلى الباب، ثم استدارت في اللحظة الأخيرة لترمي كلمات الوداع في وجهه البارد.

ـ لكنني سأقول لك شيئاً . . سيد كايل جنسن . . إذا كان هذا هو نوع الزوج الذي كنته . . إذن، لا يدهشني أنني تركتك!

ومن دون أن تجرؤ على النظر إليه مرة أخرى، ركضت تخرج من الغرفة، وهي لا تفكر سوى بالخروج من الشقة، لتختبىء في مكان مظلم حيث تستطيع مداواة جروحها بسلام. أما آخر ما سجله ذهنها فيما هي تعبث متعثرة بقفل الباب، أن رائحة حريق تملأ المطبخ. كانت الوجبة المحضرة بعناية قد تحولت الآن إلى ركام أسود.

***

٨ ـ لماذا تركتني؟

أخذ المطر يصفق بقوة على نوافذ المقهى وأبوابه، أحست ايف بالطقس يعكس عليها تجهمه وكآبته فتنهدت ودفعت صحنها بعيداً عنها . . فهي لم ترغب في الشطيرة أصلاً، كما أنها ليست جائعة أبداً.

لم يكن يفيدها الجلوس هنا بمفردها . . إنه العاشر من أيار، عيد ميلادها السابع والعشرين. لكن مزاجها كان كئيباً يائساً، كما كان بالضبط قبل سنتين. مع ذلك، افترضت أن عليها على الأقل أن تكون مسرورة لأنها تعرف موعد عيد ميلادها . . فمنذ سنتين، لم تكن تعرف هذا التفصيل الصغير حتى.

«حيث الجهل نعمة، فالحماقة حكمة». من لا مكان اندس هذا القول في رأسها، فقطبت جبينها، وهي تهز برأسها لتدفع عنها الفكرة المثيرة للاضطراب. هل كانت حقاً أفضل حالاً حين جهلت ماضيها؟ بكل تأكيد، أمست حياتها عذاباً منذ اقتحمها كايل . . لكن، أكانت أكثر سعادة لو بقيت جاهلة بقية حياتها، وهي تعرف أن ماضيها يناديها، ولا سبيل إلى العثور عليه؟ أهذا أسوأ مما لو علمت أن لها زوجاً، وأنه جرحها بشكل رهيب كما فعل كايل يوم السبت الفائت؟

ـ حين قيل لي في المكتبة إن هذا يوم إجازتك، فكرت أنني سأجدك هنا.

تناهى إليها صوت ناعم مألوف تشوبه لكنة، فأفاقت من أفكارها فجأة، وأجفلت مثل قطة مذعورة، حتى تطايرت المملحة أمامها . . فكرت آلياً أن تنحني لتستردها، لكنها أدركت أن هذه الحركة قد تفسر بالخوف،

فتجنبت النظر إلى العينين البنيتين القاتمتين، وجمدت في وضع مرتبك متردد.

سألها كايل: «أليس من المفترض أن يكون هذا فألاً سيئاً؟».

ثم وضع فنجانين من القهوة على سطح الطاولة «الفورمايكا».. وهو ينظر إلى كومة الملح التي وقعت على السجادة.

ـ أليس من المفترض أن تعطي الشيطان الملح، أو شيء من هذا الكلام السخيف؟

ـ أنت تعني أن ترمي الملح من فوق كتفك!

ازدادت لهجتها حدة مع التوتر الداخلي، والتسارع المضطرب لضربات قلبها، فانحنت لتلتقط أنبوب الملح، وهي تقاوم جاهدة لتمنع نفسها من السقوط.

لكن تفكيرها كان منصباً على ظهور كايل المفاجيء وكلماته: وهل يقف الشيطان وراءك؟ لكنه الآن يقف أمامها، بشكله الطويل الأسود المؤثر. ما زال هذا الرجل يملك القدرة على التأثير بها، وعلى تفجير حياتها بكلمة.

وأضافت بسرعة: « هذا بالطبع إذا كنت غبياً وتؤمن بمثل هذه الخرافات».

ـ طبعاً!

أطبقت أسنانها بحدة بتأثير من سخريته، ترى، هل اكتشف بعضاً من أفكارها؟ هل هي شفافة إلى حد يتمكن فيه المرء من قراءة تعابير وجهها؟

وأضاف: «وهذا بالطبع، ما لا تريدينه».

ـ بكل تأكيد لا أريده! اسمع.. هل ستجلس أم أنك تخطط للبقاء واقفاً فوقي كالبرج طوال اليوم؟

نظرت إلى عمق عينيه الأبنوسيتين، فتذكرت فجأة بعد فوات الأوان، أنها كانت تحب هذا الرجل. فولدت فيها الصدمة شعوراً بالغثيان.. لا بد أنها أحبته مرة.. لقد تزوجته.. لكن هل لا زالت تحبه؟ كيف يمكن لها أن تشعر نحوه بإحساس غير الازدراء، لا سيما بعد ما حدث في نهاية الأسبوع؟

رد كايل بجفاء: «لم أكن واثقاً أنني موضع ترحيب».

وجذب كرسياً ليجلس عليه.. ثم دفع بفنجان قهوة نحوها: «هاك.. اعتقدت أنك ستحتاجين إليه.. تبدين مكتئبة الوجه..».

منذ متى وهو يراقبها عبر الغرفة؟

أحست فجأة، أنها كانت بحاجة إلى مثل هذا الدفء، بعد أن كانت تأنف من شرب القهوة وترتعش برداً.

ـ كيف عرفت أين تجدني؟

ارتشف كايل قليلاً من قهوته:

ـ ظننت أن الأمر واضح.. فعلى أي حال اليوم هو العاشر من أيار.. وهنا وجدت نفسك.. أوه على فكرة.. عيد ميلاد سعيد ايف.

وبأية طريقة يعني هذا؟ هل يشير إلى عيد ميلادها الحقيقي، المدون على بطاقة التعريف؟ أم إلى الذكرى السنوية لوجودها في هذا المطعم دون ماض تستطيع أن تتذكره؟ من هذا المنطلق، عمرها الآن سنتان وعشر دقائق.. وحرقت الدموع عينيها، فرفتهما بقوة لترد الدموع.. سنتان وبضع دقائق.. هذا كل ما تعرفه، كل ما تستطيع أن تتذكره.. وهذا ليس بالكثير بالمقارنة مع سبع وعشرين سنة. فأجفلت بعصبية، ثم تراجعت إلى الخلف بحدة، حين مد كايل يده عبر الطاولة.

لكنه تحرك فقط ليتفحص شطيرتها المهجورة.

ـ لست مندهشاً أنك هجرتها.. يبدو أن طعمها يماثل هذه القهوة سوءاً.

وأدركت ايف أنه يحاول البقاء على مسافة منها. كان يسيطر على مشاعره بقوة، حتى بدا لها قاسياً وبارداً بشكل مخيف.

قالت: «إنها لا تفتح الشهية بكل تأكيد..».

ارتفعت عيناه البنيتان إلى وجهها، وهما تسبران أغواره.. وكأنه يريد فعلاً أن يدخل إلى ذهنها لينتزع منه أكثر الأفكار والمشاعر خصوصية.

ـ لكن.. هل نجح؟

تمتمت من دون وعي، وصوتها بالكاد يسمع:

ـ لا.. انطلاقاً من تجربتي.. كان فشلاً ذريعاً.. لكن، كما أعتقد، كان علي أن أتوقع هذا في حين..

وأدركت متأخرة ما كانت على وشك أن تتفوه به.. وتركت عينيها تحيدان عن نظرته، إلى يديها المقبوضتين بقوة في حجرها.

سأل كايل بنعومة: «في حين..؟ في حين ماذا ايف؟».

أخذت نفساً عميقاً مرتجفاً، وأجبرت نفسها على أن تتكلم:

ـ حسن جداً.. بالكاد أعتقد أن هذا المقهى، والشطيرة الاصطناعية، وفنجان القهوة، كفيل بأن ينعش ذاكرتي في حين...

مرة أخرى خذلها صوتها، فأنهى لها كايل كلامها:

ـ في حين لم يفلح في هذا مغازلتي لك؟

وكشفت لهجته مرة أخرى كم يسهل عليه أن يقرأ تعابير وجهها.

ولم تستطع ايف سوى أن تهز رأسها إيجاباً بصمت. على أي حال، ماذا كانت تتوقع؟ هل صدقت فعلاً أن زيارة للمكان الذي وجدت فيه نفسها منذ سنتين، يشبه مفتاحاً لباب مقفل، تستطيع أن تفتحه ببساطة، لتكشف عن ماضٍ يراه الجميع؟ لقد عادت إلى هذا المقهى مرات ومرات منذ أول مناسبة.. ولم تشعر يوماً بأدنى ردة فعل.. فلماذا قد يحدث هذا الآن؟

قال كايل: «كنت آمل هذا بكل تأكيد.. وكنت أود أن أعتقد أن تكون لعلاقتنا عليك تأثيراً يفوق تأثير هذا المكان..».

وصمت بحدة، ما إن رفعت ايف عينين بنفسجيتين قاتمتين إلى وجهه. بدت نظرتها متألمة، ضبابية، تكاد تفضح مشاعرها.. ثم أنهى كلامه فجأة:

ـ لكنك لا تعرفين هذا.

يا إلهي.. هل حولت الشفقة عينيه السوداوين، إلى صفحة بحيرة في ضوء القمر؟ أحست ايف أنها ضعيفة عاطفياً، فمجرد لمحة منه يمكن أن تنتزع منها القليل القليل المتبقي من دفاعاتها، وتتركها فريسة لـ..

فريسة لماذا؟ لتحرشات كايل؟ هي تعرف حالها سلفاً.. فمجرد

التفكير بقبلاته وعناقه كان يبعث فيها رغبة أليمة.. ولو كانت تحتاج إلى المزيد من الإثبات، فإن ليلة السبت أثبتت لها أموراً تفوق أي شك.. أثبتت مشاعرها، وكلمة «الحب» الخطيرة التي اعترفت بها بصمت مرتين اليوم. لقد اندست الكلمة إلى تفكيرها بسهولة بحيث لم تنتبه لها حتى وقت لاحق.

إذن.. أهي تقع في حب كايل مرة أخرى؟ قاومت بيأس اندفاع قلبها إلى الإيجاب، وهي تعرف أن مثل ردة الفعل هذه، ستزيد من اهتمام كايل بها.. وتدفعه إلى طرح أسئلة قد لا تتمكن من الرد عليها.

كانت المشكلة، أنها لا تعرف هل تقع في الحب مجدداً.. أم للمرة الأولى. بالنسبة لها، شعرت وكأنها المرة الأولى.. لكن، ما من ذكريات لتقارنها بها.. حتى ولو كانت تملك مثل هذه الذكريات فماذا تقول؟ افترضت أنها لو كانت زوجة كايل، لأحبته طبعاً.

لو أنها أحبت كايل.. فيبقى دائماً ذلك الواقع المرير أن ذلك الحب، وفي مرحلة ما، قد مات.. أو هو على الأقل ضعف حتى هجرته.. وإلى أن تعرف لماذا حدث هذا، لن تسمح لنفسها بمزيد من المشاعر نحو كايل.. إذ كيف تستطيع أن تحبه وهي لا تعرف هل تثق به أم لا؟

قال كايل فجأة: «ايف.. عن يوم الأحد..».

صاحت ايف بحدة: «لا أريد أن أتكلم عنه!».

لكنها ناقضت نفسها على الفور، ولاحت خيوط الحزن في كلامها: «لماذا فعلت ذلك؟ لماذا؟».

كان رده جافاً، وبلا مشاعر: «ظننت أن الأمر واضح.. وأعذاري كانت محقة..».

ـ محقة؟ هل تظن حقاً أنك إذا ضغطت على الزر المناسب، ستحدث تأثيراً يعيد إلي ذاكرتي؟ هل تظن أن غزلك لي كان تجربة لا تنسى؟

قال من بين أسنان مشدودة: «كان علي أن أجرب..».

لقد ضربت على وتر حساس هنا.. ولسعت كرامته الرجولية، حين أكدت له أن تأثيره الجسدي، اليوم كما في الماضي، لم يكن يذكر.

وقالت بغضب: «هذه في الواقع تسمى الطريقة الباردة الدم، البراغماتية، أو الذرائعية، لمعالجة الأمور..».

وصمتت فجأة، وقد صدمتها كلماتها، أو تعبير كايل، أو إحساس ما يلف الموقف برمته، وكأنه مألوف، بشكل مثير للاضطراب.. لكنها تذكرت أنها رمت هذه الكلمات بالذات في وجهه في أول يوم سبت أمضياه معاً، حين حاول أن يسيّر حياتها، حتى تتخلى عن عملها.

ـ كان يمكن لهذا أن ينجح.

ـ ربما.. لكنه لم ينجح!

ولذعت دموع المرارة عيني ايف. ألأن كايل استغلها بقوة أم لأنه فشل في تحطيم الجدار الذي يفصلها عن ذكرياتها؟ على أي حال، ها قد عادت من حيث بدأت. لم تجرؤ على النظر إلى كايل خوفاً من أن تفضح مشاعرها، فما كان منها إلا أن مدت يدها إلى قهوتها وارتشفتها.

لدهشتها، كسر كايل الصمت:

ـ قولي لي شيئاً.. حين التقينا أول مرة، أعني المرة الثانية، أردت معرفة الكثير.. وكانت الأسئلة تتدفق من دون توقف.. أما الآن، وفجأة، فقد جف نبع الأسئلة.. لماذا؟ بالكاد قلت لك شيئاً.. لكنك لم تعودي راغبة في معرفة أي معلومة.

ـ ولو أنني فقدت ذاكرتي..

ـ إذا فقدت ذاكرتك!

انفجرت ايف في وجهه، من دون أن تهتم بالنظرات الفضولية التي التفتت إليها من الطاولات الأخرى: «إذا!».

ها هو موجود مرة أخرى.. ذلك الشك في صوته، ذلك التلميح إلى أنه ما زال لا يصدقها فعلاً.. إذن، طيلة هذا الوقت كان يدعي أنه يصدقها لا أكثر.. أحست ايف بشرارة تلتهب فيها.

ـ دعني أقول لك شيئاً سيد كايل جنسن.. أيها العالم بكل الأمور..! «إذا» فقدت ذاكرتك، فلن تتمكن من التفكير على هذا النحو.. في البداية،

اعتقدت أنني أريد أن أعرف.. أردت أن أعرف أي شيء، وكل شيء تستطيع أن تحدثني عنه، لكنك لم تستطع الرد على سؤال واحد، هو كل ما أحتاج إلى سماعه. بعدها، يمكن أن أبقيك معي طوال اليوم، ليل نهار، لترد على أسئلتي..

لكن هذا لم يكن السبب الوحيد.

تدخل كايل فيما هي تقاوم لتستعيد رباطة جأشها: «لكن.. أما من «لكن»؟».

انفجرت ايف:

ـ أنت على حق تماماً. هناك «لكن»! المشكلة..

وصمتت.. وهي ترى عبوسه السريع، حاولت أن تخفض من وتيرة صوتها الذي جذب مجدداً اهتمام الحضور.

ـ المشكلة، أن ما من كلمة قلتها، تعني لي شيئاً.

قطب مجدداً، فانضم حاجباه الأسودان معاً، حتى هددا قدرتها على المتابعة. لكنها ابتلعت ريقها بقوة وهي تجبر نفسها على الكلام.

ـ طرحت الأسئلة.. وأجبتني عليها.. لكنها كلها لم تعنِ شيئاً.. لم تكن حقيقية...

لكن هذا حدث لأنها لم تستطع إجبار نفسها على طرح السؤال الأهم.. سؤال يحرق تفكيرها بقوة، سؤال يرفض أن يتشكل على لسانها، مهما حاولت جاهدة أن تتلفظ بالكلمات؟ كايل الآن هنا.. يجلس قبالتها ويعرف كل أسرار زواجهما، ويعرف لماذا هجرته. وما عليها سوى أن تسأله.. إنه سؤال صغير، ومع ذلك، كانت تشعر أنه حاجز يجب أن تتغلب عليه..

سألها بحدة: «هل تلمحين إلى أنني كنت أكذب؟».

لكنها، ويا للغرابة لم تفكر فعلاً، وبجدية، بأنه يكذب عليها. وهي في هذه النقطة بالذات، على الأقل، تثق به.

قالت متسرعة:

ـ لا.. ليس الأمر هكذا. لكن يمكن للمسألة أن تكون قصة خرافية..

خيال محض. وكأنك تروي لي قصة عن شخص آخر.. لكنني أعرف أنها ليست عن امرأة أخرى.. إنها عني.. وإذا سمعت قصة واحدة بعد عن الناس الذين يفترض أنني عرفتهم، عن التصرفات التي يمكن أنني أقدمت عليها.. سأصرخ.

ـ أليس من الأفضل أن تتحققي من المسألة؟

رفعت ايف رأسها بحدة بتأثير من سؤاله السريع.. واتسعت العينان بلون «البانسيه» صدمة وارتياباً وهي تقطب بارتباك.

وما لبثت أن سألت مرتجفة: «أتحقق؟ كيف.. ماذا..؟».

مال كايل إلى الأمام وأمسك يدها، فيما أصابعه القوية تطبق عليها بحزم، ثم راح ينظر إلى باطن كفها، وكأنه قارىء طالع، وتساءلت ايف: هل كان ما حدث صدفة في لا وعيها، أم أن قبضته تركزت متعمدة على أصبعها الرابع، خاتم الزواج المفقود؟ بالتأكيد، يريد أن يوقظ صدى ما في ذاكرتها! وكم تمنت ايف لو يحدث هذا.

قال كايل بصوت خشن أجش وكأنه يجد صعوبة في الكلام:

ـ حين وجدتك مرة أخرى، حين قلت إنك فقدت ذاكرتك.. قررت أنه من الأفضل أن أستشير أخصائياً.

هزت ايف رأسها بتفهم صامتة.. مع ذلك، لم يستطع كايل أن يرى الإيماءة لا سيما وأن عيناه لم تفارقا يدها.

ـ قال لي إن أمامي خياران.. إما أن آخذ الأمور بالتروي.. وأتعرف إليك مجدداً.. فتعود الذكريات إليك تدريجاً.. وتتهاوى الحواجز التي وضعتها بينك وبين ماضيك، أياً كانت..

اهتز صوت ايف بإحساس مربك: «والطريقة الأخرى؟».

ـ وإما أن أحاول إجبارك على التذكر.. فأصطحبك إلى أماكن تعرفينها.. وأواجهك بأشخاص كنت تعرفينهم في الماضي.

ـ كما حاولت أن تفعل يوم الأحد؟

تكلمت باندفاع قبل أن تجد الوقت لتفكر.. فذكرى تلك الليلة لا تزال

تلسعها بمرارة، والألم الذي تسببه لها كان لا يزال فجاً.

بدا أن كايل يملك الأدب الكافي ليظهر خجله:

ـ آه.. لم ينجح هذا كما خططت له. لقد أسأت الحساب..

بدت هذه طريقة مؤدبة لوصف ما حصل. كان يمكنها أن تعارضه، فتؤكد أن أفعاله محسوبة تماماً لا بل إنه احتسب استجابتها حتى أدق التفاصيل.

أم أن ذلك غير صحيح؟ فجأة، تذكرت نفسها خلال الأسابيع الماضية، وقد واظبت على الاقتراح على كايل ليصطحبها إلى شقته أو إلى المكتب، حيث عملت، لكن كايل رفض..

أغمضت ايف عينيها لحظة، وقد صدمت حين رأت الأمور من منظار آخر، منظاره هو. وأحست أنها تفقد توازنها فكرياً.. هل كانت أنانية أكثر من اللازم منذ البداية؟ على أي حال، لو كانت في حال من الارتباك العاطفي، فما هو إحساس كايل؟ وإن كان يصعب عليها أن تتقبله كزوج، فما باله بزوجة لم تعد تعرفه.. وجه إليها ضميرها طعنة حادة فراحت تتململ في مكانها بانزعاج.. لعلها تحتاج إلى إعادة التفكير.

قالت ببطء: «ألهذا لم تقترح أن ألتقي بوالديك مجدداً؟».

ـ بل لأنك كنت تبدين دائماً خائفة من مقابلة أي شخص عرفتِه من قبل.

ـ ما كنت سأعرف ماذا أقول.. كفاني ما أعانيه من صعوبة معك.. يجب أن تفهم..

هنا، ارتسمت تقطيبة على وجهه فتوقفت عن الكلام.. بالطبع يفهم، ووبخت نفسها. ألم يختر ألطف طريقة اقترحها عليه الأخصائي.. الطريقة البطيئة، حتى ولو كانت تسبب لها المزيد من الإحباط والصعوبة؟

لكن، إذا كانت هذه هي الحال، فكيف تفسر إذن تصرفه معها ليلة الأحد؟ هل كان تصرف رجل بارد القلب، قاس.. أم زوج أراد بشدة أن يستعيد زوجته، حتى أنه كان على استعداد أن يجرب أي شيء على الاطلاق؟

قالت: «أنا آسفة.. كنت.. خائفة».

ـ خائفة من ماذا؟

جاء رده بطيئاً.. بدا أن شيئاً ما جذب عينيه إلى الزاوية البعيدة من الغرفة.. وقام بجهد واضح لإعادة اهتمامه إليها.

قالت: «هذا لأنك كنت تشعر بالخجل ربما..».

ـ منك؟ لا يعقل أن تظني..

بدت في صوته نبرة غريبة وكأنه لا يصدقها.

بالرغم عنه، ابتعدت نظرته عنها مجدداً.. حاولت ايف أن تختلس النظر إلى الوراء.. رأت شخصين فقط في تلك الزاوية من المقهى.. امرأة شابة وابنها، طفل، ربما في الثالثة من عمره.. بشعر أسود طويل ووجه أبيض شاحب بيضاوي الشكل.. أما الأم فجميلة جداً، لذا، لم يكن مدهشاً أن تنجذب عينا كايل إليها.. لكن كان لرؤية الاثنين تأثير مختلف عليها.. ولسبب مجهول، غمرها فجأة إحساس من الوحشة الرهيبة.. إحساس ضائع ويائس كما حدث لها منذ سنتين.. حتى أنها وجدت صعوبة في الكلام. لكنها قالت: «إذن، كان تأثيري هو السبب؟».

ـ طبعاً.

هذه المرة، بدا صوته مختلفاً جداً، كان حاداً بارداً وكأنه يستنفذ كل الدفء من جسم ايف، حتى راحت ترتجف دون إرادة منها.. ولم يبدُ أن كايل لاحظ ردة فعلها، بل كان ضائعاً في التفكير.

ما الذي أحدث فيه هذا التغيير المفاجىء؟ ألقت نظرة سريعة أخرى إلى المرأة في الزاوية، فعادت إليها تلك الغيرة الطاعنة مجدداً.. بالكاد مرت ستة أسابيع منذ التقاها مرة أخرى.. وثلاثة أيام منذ كانت معه في شقته. هل بدأ اهتمامه يتحول مجدداً؟ وبألم عميق، تذكرت أن كايل لم يقل يوماً إنه يحبها حين أتى يبحث عنها. لم يطلب منها العودة إلا لأنهما كانا يؤلفان زوجاً بالمعنى الجسدي طبعاً.. وأحست بأحشائها تحترق في عقدة خوف مؤلمة، لكن، أهذا كل ما يريده؟ أيريد كايل زوجاً فحسب أم شريكاً راغباً حساساً

يربطه بعلاقة جسدية مرضية؟ وماذا لو لم تعطه ذلك الاكتفاء الجسدي، فهل سيبقى راغباً فيها أم أنه سيهجرها إلى الأبد؟

اشتد توتر كايل حتى لفت نظرها، كان ينقر أصابعه دونما هوادة على الطاولة، فيما قلبها يعتصر بألم وهي ترى نظرته منصبة على الجمال الأسود الشعر في الزاوية، بالرغم من جهده الواضح ليظهر عكس هذا.. لن تستطيع الاستمرار هكذا، وقررت أن تطلب الحقيقة.

سألت: «كايل.. ما شعورك نحوي؟».

وعلى الفور تمنت لو أنها لم تسأله لا سيما بعد أن غرقت كلماتها في بحيرة من الصمت المصدوم. وإذا برأس كايل يتراجع إلى الوراء، فيما عيناه الابنوسيتان ترتدان إلى وجهها بصدمة.

تمكن من التفوه بصوت أجش وخشن وكأنه يخرج من حنجرة متألمة جافة: «ماذا؟».

وفكرت ايف بسخرية مريرة: حسن جداً، على الأقل استعادت اهتمامه.. ولم تعرف هل تملك الجرأة لطرح السؤال مجدداً.. لقد أفلتت منها الكلمات في المرة الأولى، في وقت لم يكن فيه كايل ينظر إليها مباشرة كما يفعل الآن.. وابتلعت ريقها بقوة، وهي تستدعي كل قوتها الداخلية كي تنظر إلى العينين القاتمتين.

ـ أنا.. حين كنا معاً.. قبل.. كيف كنت تشعر نحوي؟

ـ يا إلهي!

كانت صرخة التعجب متوحشة تخترق الجو.. فأجفلت إلى الوراء بتأثير العنف في لهجة كايل ولو أنه بالكاد همس قائلاً:

ـ ما نوع هذا السؤال؟ وماذا تظنين شعوري نحوك؟ لقد أحببتك. اللعنة عليك! وهل يمكن أن..

وصمت فجأة.. واتضح أنه غير قادر على إكمال كلامه، وما لبث أن أخذ يهز رأسه غير مصدق.

لقد شاهدت هذه النظرة على وجهه من قبل، شاهدتها يوم أخذا التوأم

إلى متحف الشمع، حين سألته إن كان يرغب في إنجاب الأولاد.

ـ لا زلت لا تثقين بي.. أليس كذلك؟

سرت لهجة كايل في أعصابها الحساسة، وملأتها بإحساس خوف رهيب.. وأحست أنها أقدمت على ذنب مريع.

ـ لم أكن أعرف.

يا إلهي كم أصبحت تكره هذه الكلمات، لكنها الوحيدة التي تستطيع استخدامها:

ـ لا أعرف بماذا أفكر.. هل أستطيع أن أثق بك؟ هل يجب أن أثق بك؟ هل تصدقني؟ أنت لم تصدقني في البداية أليس كذلك؟

صدمتها ردة فعل كايل، إذ ابتعدت عيناه القاتمتان عنها، وانصبتا على الطاولة.. فيما اشتدت قبضته على الملعقة حتى أنها توقعت أن تراها مكسورة إلى نصفين.

قال بنعومة بالكاد سمعتها: «لا».

ـ ماذا قلت؟

ارتفع رأسه مرة أخرى، فيما عيناه المتحجرتان خاليتين من أي تعبير، فقال مكرراً: «لا!».

ولم تستطع ايف أن تعرف هل كانت صرخة غضب أم نوع غريب من الدفاع عن النفس، أما هو، فأكمل:

ـ حسن جداً.. وهل كنت ستصدقيني؟ كنا معاً لما يقارب الثلاث سنوات.. ثم خرجت من حياتي من دون أي تفسير، وتركت مذكرة تقول ببساطة، ألا أبحث عنك..

عادت مخاوف ايف تبرز فجأة.. إذا كانت قد أوصته بعدم البحث عنها.. فهي إذن، لم ترغب لزواجهما في الاستمرار..

ـ وهل فعلت هذا؟

هز كايل رأسه، وقد تجهم وجهه:

ـ وقلت أيضاً، إنك لو التقيتني مرة أخرى فلن تتعرفي إلي. كانت

كلماتك بالضبط: «لو رأيتك فلن أعرفك».. لذا حين لم تتعرفي إلي..

ـ ظننتني أتظاهر.

وهز كايل رأسه مجدداً.

ـ لكن، حين أغمي عليك أدركت أن في الأمر سوء تفاهم.. وشرح لي جيم الأمور.. ثم أخبرتني قصتك.. لكنني بقيت غير واثق.. لهذا أردتك أن تتركي عملك، وأن تدعيني أعيلك.. بهذه الطريقة، سأملك نوعاً من السيطرة عليك.

لكن، لماذا أراد إشعال العلاقة بينهما من جديد؟ فعلى أي حال، لقد قال إنه أحبها يوماً.. لكن هذا كان منذ سنتين.. قال «لقد أحببتك» مستخدماً صيغة الماضي. أما هذه المرة، وخلال الأسابيع الستة التي أمضياها معاً، فهو لم يتكلم مرة عن أية مشاعر ما عدا الرغبة.

بدأت مترددة: «كايل.. لماذا تركتك؟».

إزاء ذعرها الكامل، ارتفعت كتفا كايل بحركة رافضة: «أخبريني عن السبب».

ـ أتعني أنك لا تعرف؟

انسدلت رموشه السوداء الطويلة على عينيه لحظات ثم ارتفعتا لينظر إلى وجهها بعمق.

ـ واجهتنا بعض المشاكل.. لكن لم أعتقد يوماً أنها ستؤدي إلى هجرانك.

وفيما هو يفرقع بأصابعه طلباً للنادل، اختلست ايف نظرة إلى وجهه لبرهة، فالتقطت لمحة عن شعوره يوم اكتشف أنها رحلت. لكنها كانت برهة واحدة فقط.. وقبل أن تستطيع الرد، عاد القناع المتصلب إلى مكانه، وعاد تعبير وجهه إلى الفراغ الذي لا يكشف شيئاً.

التوى فم كايل بما يشبه الابتسامة، فأجفلت ايف فيما أكمل:

ـ لم تذكري يوماً كلمة عن رحيلك.. أما ما حصل فأشبه بسيناريو كلاسيكي.. عدت إلى المنزل لأجد مذكرة على رف المدفئة. حتى أنك لم

تأخذي معك حقيبة ولا ثياب غير التي كنت ترتدينها. لا بل إنني وجدت حقيبة يدك لا تزال في غرفة النوم..

أخذ رأس ايف يدور بجنون.. لقد كانت تتساءل عن مشاعرها نحو كايل، ومشاعره نحوها، وهي تعتقد منذ البداية أن زواجهما تحطم بسببه، لكنه يقول الآن إنها هي من اتخذ المبادرة.. لا بل إنه يجهل سبب رحيلها. أيعقل أنها لم تعطه أي تفسير؟ ترى، لماذا تصرفت هكذا؟ ما الذي دفعها إلى هذه الخطوة؟ إنها بحاجة شديدة لمعرفة الرد على هذه الأسئلة.

قبل أن يتوقف كايل عن الكلام.. وقبل أن يترك القناع يهبط عن وجهه، ليكشف عن شعوره منذ سنتين، كانت تعرف، بشكل نهائي، أنها الآن تحبه، بغض النظر عن أحاسيسها في الماضي.. وتحبه بكل جوارحها. لكن هذا الحب مبني على أسس مشكوك فيها.. إنها تعرف كايل.. وتعرف نفسها، في الوقت الحاضر. أما عن الماضي، فتجهل كل شيء.. وإلى أن تعرف الحقيقة، لن تستطيع الإفصاح عن حبها، أو منح كايل أي دليل عنه.. وما لم تكتشف بالضبط لماذا تركته، لن تستطيع أن تثق أن هذا لن يحدث مرة أخرى.. لكن كيف السبيل لمعرفة ما حدث، وكايل نفسه لن يستطيع مساعدتها؟ أتبقى الحقيقة حبيسة في ذاكرتها المفقودة؟ والغريب، أن ما من امرىء قادر على إطلاقها إلا هي نفسها.

قالت ببطء: «حين فقدت ذاكرتي.. أحسست في البداية وكأنني أنظر إلى مرآة لا أرى فيها إلا نفسي، من دون أي شيء آخر.. وظننت نفسي واضحة جداً، لكن من دون ما يحيط بي. أما الآن فأنا أتساءل هل رأيت نفسي حقاً في المرآة، أم أنها في الواقع مرآة محرّفة كتلك التي نراها في مدينة الألعاب».

باتت الآن تشعر أنها أسوأ حالاً مما كانت عليه في البداية، يوم وجدت نفسها في هذا المقهى منذ سنتين.. على الأقل، يومها، كانت تملك بعض الإيمان بنفسها.. أما الآن، وهي تقرأ أعمالها الماضية في عيني كايل، فقد بدأت تتساءل، أي نوع من الأشخاص كانت.

ـ كايل.. بالنسبة للطريقتين اللتين اقترحهما الطبيب للتعامل مع الموقف.. حتى الآن اتبعت نصائحه وأخذت الأمور بروية.. لكن هذا لم ينجح.. أليس كذلك؟ نحن لم نقترب بعد من معرفة ما حدث حقاً، أكثر مما كنا منذ ستة أسابيع.

ـ هل تقترحين أن ننفذ الطريقة الثانية.. أي أن نحاول فرض الأشياء بالقوة؟

ما إن سمعته يترجم أفكارها بكلمات، حتى التقطت نبرة الشك في صوته.. وأحست بارتباكها يتبخر، ورجفة باردة تسري في ظهرها..

سألت بحدة: «أما من حل آخر يقدم عليه الأطباء؟ أوه.. لماذا لا يساعدونني؟».

تركزت عيناه على وجهها، ومال جسمه النحيل إليها.. فيما همس قائلاً: «هل شاهدت يوماً مسرحية «ماكبث»، أو قرأتها؟».

هزت ايف رأسها بارتباك.. وهي تتساءل لماذا يتحدث عن «شيكسبير» الآن.

ـ لا شيء محدد فيها..

ـ حسن جداً.. في المسرحية مشهد جنت فيه «اللايدي ماكبيث». وسأل «ماكبيث» الطبيب:

ألا تستطيع السيطرة على مرض عقلي..

ألا تنتزع من الذاكرة حزناً متجذراً؟

أجفلت ايف داخلياً.. هذا ما تتمناه بالضبط.. لكن المشكلة أن لا فكرة لديها عن الحزن الذي تجذر في ذهنها ليسبب لها فقدان الذاكرة، ولهذا تراها تخشى العواقب المحتملة وراء الحقيقة.. فهل سيكون حبها الذي اكتشفته حديثاً، قوياً بما يكفي ليخوض هذه التجربة؟

كان كايل لا يزال يراقبها عن كثب.. فزحف الخوف إليها، وهي تدرك أنه لم ينه كلامه بعد.

وتابع كايل حين رأى أنه استعاد اهتمامها: «كان الرد على هذا هو: الحزن علة، على المريض استئصالها بنفسه».

التركيز على الكلمات الأخيرة لم يترك لأيف مجالاً للشك بأهمية كلمات كايل. وتملكها الذعر، حتى ارتجفت كلماتها بضعف:

ـ أنت تعني.. أوه لا.. لا أستطيع..

قست ملامح كايل، وبدت عيناه باردتين مخيفتين، لكن قساوة لهجته أعلمتها أنها مهما تقلبت، فلن يتركها تفلت منه هذه المرة.

ـ أعرف أنك لا تتذكرين كيف كنت.. لكنني أتذكر.. والشعور الوحيد الذي لم تشعري به قط.. هو الجبن.

إذا كان ينوي أن يستفزها لتتخذ قراراً فقد اختار الطريقة الصحيحة.

وتمكنت من القول بارتجاف:

ـ ماذا تريدني أن أفعل؟ قلت إنك بعت البيت القديم.. لكن لو ذهبت معك إلى مكتبك، أو..

وصمتت بدهشة وهو يهز رأسه: «ليس إلى المكتب.. ونحن لم نعش معاً في لندن، يجب أن نذهب إلى «نورفولك»».

سألت ايف والدهشة تسيطر على صوتها:

ـ نورفولك؟ ما دخل نورفولك في كل هذا؟

ـ لقد اشتريت منزلاً هناك قبل أن ألتقي بك مباشرة.. ولطالما أحببته، حتى كان منزلنا حين تزوجنا.

ومرت سحابة قاتمة على وجهه: «حين تركتني.. كان هذا من هناك».

توقف كايل عن الكلام، ونظر بصمت إلى وجه ايف.. فبعثت نظرته الصارمة الرجفة في عروقها، وهي تخشى مما قامت بتحريره.

ـ إذا كنت حقاً تريدين معرفة ما حدث..

بدت لهجته مثيرة للاضطراب، لكن ايف كانت تعرف أنها وصلت نقطة اللاعودة، فما من تراجع الآن. وهزت رأسها موافقة بصمت.

ـ في مكان ما من رحلتك من ذلك المنزل إلى هنا، فقدت الذاكرة.. الطريقة الوحيدة لاستعادتها، هي أن تعودي إلى البداية.

***

٨ ـ لا أريد أن أتذكر

ـ نكاد نصل.

أيقظت كلمات كايل ايف من الغفوة التي غطت فيها. فاستقامت في مقعدها وهي تنظر إلى الخارج نحو الريف بمزيج من الفضول والارتباك.. بعد برهة قصيرة من الزمن، ستلمح المنزل الذي هربت منه منذ سنتين للمرة الأولى..

ترى، هل يشاركها كايل خوفها المفاجيء وهواجسها، والتوتر الذي يستبد بها؟ لو فعل، فهو بالتأكيد لا يُبدي شيئاً.. كان جسمه الطويل مسترخياً في المقعد، وانتباهه منصب بحزم على الطريق أمامه.

لكن، ربما كان يبالغ في التركيز على تلك الطريق الريفية التي يسلكانها.. فهما لم يقابلا أي حركة سير حقيقية، منذ «نورويتش» حيث توقفا للغداء.. ولا سبب يدعو كايل ليتمسك بالمقود بشدة، حتى يكاد بياض أصابعه يفضح المشاعر التي لم يبديها.

سألت: «هل تشعر مثلي بالتوتر؟».

قال معترفاً: «إنه موقف فريد من نوعه».

كان صوته يلامس الضحك، فأحست ايف أنها تفهمه، فالمشاعر ذاتها تتملكها منذ خروجهما من لندن، في وقت مبكر من ذلك الصباح.

ـ أعرف ما تعني.. لقد ودعنا دايان وجيم والتوأم، وكأننا ذاهبان لقضاء شهر العسل.. كل ما كان ينقص هو باقة الزهر، والأوراق الملونة و «البونبون» ليكتمل الموقف.

واهتز صوت ايف في آخر كلماتها . . واستعادت شعور الهستيريا الذي هاجمها بينما غادرا منزل صديقتها .

حين أخبرت دايان أنها ستأخذ فرصة أسبوع كي تقيم في المنزل في «نورفولك»، ابتهجت الصديقة .

دخلت دايان غرفة ايف بينما هي ترتب حقيبتها، قبل وقت قصير من وصول كايل، وقالت :

ـ أنا واثقة أنك ستمضين أوقاتاً رائعة . . ومن يعلم؟ قد يساعدك هذا على استعادة الذكريات .

وهي لم توافق على المضي بهذه التجربة إلا لهذا السبب بالذات، فلماذا إذن تشعر الآن بالخوف البائس، والتردد الكبير لإقدامها على هذه الخطوة؟

ـ أوه يا إلهي . . دي، هل أفعل الصواب؟

ـ ايفي حبي . . ما الأمر؟ أنت لست خائفة من كايل، بالتأكيد؟

ليس من كايل بنفسه، بل مما قد تكتشفه عنه . . وعن نفسها . ظهر ردها في أعمق أفكارها لكنها عجزت عن ترجمته بالكلمات . . وفي النهاية لم تستطع سوى أن تهز رأسها .

ـ لا . . ليس في الواقع .

وصرفت دايان النظر عن هذا القلق بقناعة حسدتها ايف عليها بعمق .

ـ بالطبع لا . . أنت مجنونة بحبه .

ذهلت ايف لمجرد التفكير بأن مشاعرها شفافة إلى هذا الحد : «وهل يظهر علي ذلك؟» .

ماذا لو أدرك كايل أيضاً مشاعرها نحوه؟

ردت دايان : «هذا يظهر فقط لمن يعرفك مثلي، على أي حال صغيرتي لقد عشنا معاً لسنتين . . وإذا كان من امرىء يعرفك، فهو أنا بالتأكيد» .

لكن هذا لم يبعث في ايف الراحة الكاملة . فقد قضت مع كايل وقتاً يزيد عما قضته مع عائلة بينيت هنا . تابعت دايان بلهفة : «أنت تحبينه . . أليس كذلك؟» .

ـ كما قلت . . أنا مجنونة بحبه .

ـ ولماذا إذن تقفين مضطربة مترددة هنا؟

أبقت دايان يدها طوال الوقت وراء ظهرها، ثم أخرجتها من مخبئها، وقدمت لأيف بحماس لفافة جميلة .

ـ هذه هدية صغيرة مني ومن جيم حتى تمضي العطلة بنجاح . لا تفتحيها إلا حين تكونا وحدكما . . أعتقد أنها ستعجبكما معاً . .

وضحكت ضحكة خفيفة، وهي تمازح ايف، وابتسامة خبيثة على فمها .

ـ . . بما أن القدر لطيف، ليقدم لك زوجاً مثل كايل، فمن الأفضل أن تستفيدي من الفرصة! اعتبري الأمر بداية لشهر عسل ثاني .

لكن المضحك المبكي أن ايف لن تستطيع التمتع بشهر عسل ثان، فيما هي لا تستطيع أن تتذكر الأول فعلاً . . حتى ولو تزوجا للتو، فمن غير المحتمل أن تعلم عن كايل أكثر مما تعلمه الآن .

ـ ها قد وصلنا .

استدركت ايف فجأة وعادت إلى الحاضر . وإذا بها تلاحظ أن كايل قد انحرف عن الطريق، فيما هي مستغرقة في أفكارها ودخل في طريق داخلية أوصلتهما إلى منزل كبير أنيق، جدرانه الحجرية الصفراء الشاحبة تتوهج بدفء شمس بعد الظهر .

إذن، هنا أمضت معظم الوقت مع كايل . . وارتج قلب ايف، فتسارعت نبضاته في غير راحة أو استقرار . ثم نظرت حولها بحثاً عن دليل ما . . أي دليل يمكن أن تتعرف إليه .

كان منزلاً جميلاً . . له جو دافىء مرحب . . بدت معظم واجهته الأنيقة الجورجية الطراز وقد زينت بالعرائش المزهرة، والنوافذ العريضة الناتئة فوق الدرجات الحجرية . كانت تلك النوافذ تقود إلى الباب الرئيسي، ولاحظت إلى يسار المبنى بيتاً زجاجياً ضخماً، كان ليبدو رائعاً وهو مليء بالنباتات، لكنه الآن كئيب قليلاً، وكأن أحداً لم يعتنِ به منذ مدة .

هل أهمل كايل المكان بعد أن هجرته؟ بالطبع، لا بد من أنه انشغل بعمله في أميركا في أكثر الوقت، كما تذكرت أنه قال لها إن أباه ولاه أمر الشركة، كمدير إداري لها. وربما، تحول إلى كراهية هذا المكان بعد رحيلها.. على أي حال.. لقد تركت الرسالة في غرفة ما في هذا المنزل، الرسالة التي طلبت منه فيها ألا يبحث عنها. توقعت أن تكون صورة هذا المنزل واضحة جداً في ذهنها.. لكن، وبخيبة أمل متوحشة، وجدت أن المنظر لم يرجّع فيها أي صدى على الإطلاق.

صاحت بيأس وإحباط: «أوه.. لماذا لا أتذكر؟».

تبخرت اللهفة التي خرجت بها من السيارة، بسرعة، لتتركها أسيرة البرد والهزيمة..

ـ لَمَ لا..! أوه!

صمتت بشهقة مصدومة وارتباك حين التقطت عيناها لوحة الاسم النحاسية المثبتة إلى جانب الباب.

همست مرتجفة:

ـ «منزل مونتاغوي»! مونتاغوي.. إذن لم يكن اسم العنبر؟

ـ هذا ما يبدو.

كان كايل يراقبها عن كثب، وعيناه تلتقطان كل تغيير عابر على وجهها.. لطالما عرف ذلك إذن، لكنه تعمد إبقاءه سراً كي يكون لاسم المنزل التأثير الأكثر قوة.

ـ يبدو أن اسم مونتاغوي قد أصاب وتراً ما في نفسي.

ألأنها كانت سعيدة هنا، أم لأنها كرهت العيش في هذا المنزل، وأرادت الابتعاد عن كايل؟ وخشيت ايف أن تعترف، حتى لنفسها، كم صلت لئلا يكون الجواب الأخير.. ثم نظرت إلى المنزل الجميل والمبهج تحت أشعة الشمس..

قالت ببطء: «يبدو مكاناً ودياً.. أتظنني كنت سعيدة هنا؟ كايل؟».

ولما لم يرد، كررت: «كايل؟».

ـ لست أدري.

بدا وكأن كايل يجاهد ليعود إلى الحاضر ليرد على سؤالها.. بماذا كان يفكر؟ هل كانت أفكاره ترتحل نحو الأيام الماضية قبل سنتين، حين عاشا هنا معاً؟ لو أنها تستطيع أن تقرأ أفكاره، وتشاركه ذكرياته.

قال بصراحة: «بدوت لي سعيدة.. باستثناء طبعاً..».

فجأة قطع كلامه واستدار إلى السيارة: «سأحضر حقيبتك».

ـ كايل..

أمسكت ايف بذراعه، ونظرت إلى وجهه، لترى الخطوط العميقة في ملامحه، والظلال في أسفل عينيه، كانت أشعة الشمس البراقة تكشف أنه لم ينم جيداً منذ أسابيع.. فأصيبت ايف بمزيج من الرعب والصدمة.

ـ باستثناء ماذا؟

ـ باستثناء.. النهاية.

كان رده حاداً، مصحوباً بحركة غاضبة خشنة من ذراعه.

ـ كما قلت لك.. كنا نمر بأزمة صغيرة، ولم تكلميني لأيام.. لم يكن هذا عجيباً، لا سيما بعد أن عرفت أنك تخططين لتركي.

لماذا أحست أن هذا لم يكن مقصده أصلاً؟ لكنها لم تجرؤ على السؤال.. فقد كان تعبير كايل غامضاً في عينيها.. بدا وجهه وكأنه منحوت من رخام صلب.. أما هي فأحست أن أي سؤال عفوي، يشابه إلقاء عود ثقاب في مجموعة من الألعاب النارية..

ـ أندخل؟

كانت لهجته متوترة، تفتقد لسيطرته الناعمة التي اعتادتها. ودس المفتاح في القفل وكأنه يتمنى لو أنه سكين يطعن به عدوه اللدود.

ـ ربما تتعرفين إلى ذكرى ما في الداخل.

ما إن أصبحا في الردهة المكسوة بالخشب المصقول، حتى رمى الحقائب من دون اكتراث فوق البلاط الموشح. ثم فتح الباب الأقرب وهو يتجنب عينيها.

قال بخشونة: «هذه غرفة الجلوس».

ولم يعطها فرصة حتى تنظر إلى الداخل بل تحرك مجدداً:

ـ وهذه غرفة الطعام.. الباب من هنا يقود إلى مستنبت الزجاج.. والمطبخ من هناك..

بدا وكأنه سمسار عقارات يجول في المنزل، الذي تفكر بشرائه.. لم يكن فيه من إشارة إلى الزوج المرحب بعودتها إلى البيت الذي تشاركاه يوماً.

ـ المكتبة.. غرفة استخدامات عامة.. لعنة الجحيم ايف! لا يمكنني فعل هذا!

لم تستطع ايف أن تسأله عمَّ يتحدث، فمشاعرها الفجة كانت تنبئها، وبوضوح زائد، ما يمر به، حتى ولو أنه لا يماثل حجم عذابها هي.. واضح أنه يجد في الأمر برمته مشقة كبيرة، مثلها تماماً.

قالت مترددة: «لعله من الأفضل لو تجولت وحدي».

بدا أن هذه الفكرة قد ضاعفت اضطرابه، لا تدري لماذا: «لا.. سآخذ حقيبتك إلى الطابق الأعلى».

راقبته ايف وهو يصعد السلم، فشعرت فجأة ببرد بائس ووحشة كبيرة.. فبعد أن ظنته منزلاً مرحباً دافئاً، بدا لها الآن وكأنه يملك جواً مختلفاً، مهدداً باعثاً للكآبة والحزن.

ـ انتظرني!

ولحقت به راكضة، حتى أدركته في فسحة سلم عريضة وأكملت: «أية..؟».

ثم، من مكان لا تعرف مصدره، ملأتها قناعة داخلية عميقة.. وقالت: هذه الغرفة.

ودفعت الباب بينما كان كايل يراقبها بهدوء جامد، وما لبثت أن خطت بضع خطوات إلى الأمام.

كانت شمس بعد الظهر تتسلل عبر النافذة العريضة لتنسكب على السجاد الذهبي الدافىء بركة متوهجة، وتبعث في الستائر لوناً متألقاً كالعسل

السائل. كانت طاولة الزينة الأنيقة، والخزائن المجاورة بلون الماهوغوني المكثف الداكن، وكأنها تماثل عيني كايل.. وبالرغم من التوتر الذي تملكها، لم تستطع ايف أن تمنع ابتسامة ابتهاج صافية.

قالت بثقة تامة: «هذه كانت غرفتنا».

تفرس فيها كايل صامتاً، وقد ضاقت عيناه البنيتان في تقييم واضح، وما لبث أن سألها بهمس:

ـ أهي ذاكرة.. أم مجرد تخمين محظوظ؟

هزت رأسها بارتباك، وقد اختفت كل سعادتها.

ـ لا أعرف.. أعتقد أنها نوع من الغريزة.. أنا..

وتلاشى صوتها مع حركة غير إرادية من عينيها حولتها إلى السرير في وسط الغرفة. كان مغطى بقماش مطرز ثقيل، تتداخل فيه الألوان الذهبية الدافئة كما الستائر.. وبدا لها أكبر بكثير من السرير المزدوج العادي. وفيما هي تنظر إليه، أحست فجأة بالحرارة الحارقة تغمرها، ثم ارتجفت برداً، وكأنها تحت تأثير حمى قوية. لقد تشاركت مع كايل هذا السرير، وناما معاً، ليلة بعد ليلة.

اتجهت عيناها القاتمتان كالبانسيه، إلى وجه كايل المراقب، وبدا لها فجأة كأن بشرتها أضحت حساسة جداً، وتشابكت عيونهما في لحظة تفاهم معبرة شديدة الوقع.

لم تعرف ايف كم دامت هذه اللحظة المتوترة.. لكن، كايل كسر حبل الصمت أخيراً وهو يستدير بحدة ويفتح باب الخزانة الأقرب.

ـ قد ترغبين في استخدام هذه الملابس فيما أنت هنا.

حدقت ايف برعب، إلى مجموعة الملابس.. فساتين، تنانير، قمصان، سراويل جينز، كلها معلقة في الخزانة، لم تلمسها يد منذ سنوات. إنها ملابسها، ما من شك في هذا. أحست أن هذا يفوق قدرتها.. فقد واجهها كايل بالدليل القاطع للمرأة التي كانتها يوماً.

بدأت تقول: «أنا لا..».

لكنها لم تستطع أن تكمل، فارتجفت ساقاها.. واختنقت حنجرتها بألم، وما لبثت أن صرخت باندفاع لإخراج الكلمات:

ـ لا أستطيع النوم هنا كايل..!

التوى فم كايل سخرية: «لا.. لا أعتقد أنك تستطيعين.. لا تقلقي لقد طلبت من مدبرة المنزل أن تحضّر لك غرفة أخرى».

مرة أخرى تفحصتها عيناه القاتمتان ببطء:

ـ في الواقع، أنا لم أنم هنا.. ليس منذ..

ولم يكمل جملته.. لكنه لم يكن بحاجة إلى ذلك، فقد تكهنت تماماً الكلمات الناقصة.

تحرك نحو الباب: «على أي حال.. غرفتك من هنا».

ثم تجاهل الباب إلى يمين غرفة النوم التي غادراها للتو، ودفع باباً مقابلاً ليكشف عن غرفة نوم مزينة بألوان ناعمة رقيقة من الأزرق والزهري.

ـ ستنامين هنا.

ـ وأنت.

وكأنما يؤكد على أفكارها، انتقل ليفتح باباً آخر عبر الممر، فظهرت غرفة ذات طابع رجالي أخضر قاتم وعاجي، ووضع حقيبته داخلها.

ـ هل هذا مناسب؟

لماذا يسألها؟.. واضح أنه قرر كل ذلك سلفاً. واضح أنه خطط جيداً ليضمن عدم تكرار ما حدث ليلة الأحد الماضية.. ترى أخاب أملها أم أنها مرتاحة؟

لم تجد ايف الرد بسهولة.. فهي تعرف الآن أنها تحب كايل.. تحبه وتريده بكل ما في وسع امرأة أن تحب رجلاً.. ومع أنه كان يقف إلى جانبها ببساطة، إلا أنها شعرت بجاذبية هذا الجسم الطويل القوي، والشعر اللماع الناعم الأسود، والعينين الغامضتين.

ـ وهذه الغرفة.. ماذا فيها؟

أمسكت مقبض الباب الفاصل بين الغرفتين.. ودهشت أنه لا ينفتح،

وأن بابه موصد.

ـ أوه.. إنها مخزن في الوقت الحاضر.. لم نضع فيها الأثاث بعد.

لم يكن ينظر إليها.. بل استدار ليلتقط حقيبتها.. مع ذلك، لم تكن لنبرة صوته الرنة المناسبة.

ـ سأضع أغراضك في غرفتك.. أهذا ممكن؟ أنا واثق أنك تريدين ترتيبها.

وفكرت ايف أنه يحاول إلهاءها بدقة وحذر، فيحول اهتمامها إلى شيء آخر متعمداً.. ترى، ماذا في الغرفة المقفلة؟

من دون أي تحذير، وقع ما وقع بينما كان كايل يرفع حقيبتها فوق المفرش المزهّر باللونين الأزرق والزهري.. لم يكن هناك نفخ أبواق، ولا لمعان أنوار، أو دوار مثير للاضطراب.. بل سمعت نفسها تقول ببساطة:

ـ هذه الغرفة تبدو أفضل حالاً بكثير الآن. أتذكر كم كانت مريعة حين انتقلنا إلى هنا.. كانت مخططة بلون أحمر قاتم، في وسطها سجادة حمراء قاتمة وسوداء؟

ووقعت حقيبتها فجأة من يد كايل اليسرى فوق السجادة بصدمة مكتومة، فنظرت إلى وجهه، فأبصرته شاحباً بعينين سوداوين.

سألت مرتجفة: «أنا.. هل هذا صحيح..؟ هل كانت هذه الغرفة كما وصفتها؟».

هز كايل رأسه بصمت.. شل فيها مظهر كايل جنسن الرقيق، كل قدرة على الكلام. وتهاوت ساقاها حتى تهالكت على كرسي قريب.

ـ لا تنظر إليّ هكذا..! لم أكن أعرف ماذا أقول.. أفلتت الكلمات مني!

يا إلهي! أما زال يصدق أنها تدعي فقدان الذاكرة.. وأنها تفوهت بكل ذلك من دون أن تعني أن تقوله؟

ـ كايل.. كلمني!

تنحنح بجهد ليجلي حنجرته، ورفع يده إلى مؤخرة عنقه، وكأنما يطرد

توتراً لا يحتمل. ثم سألها بصوت أجش: «هكذا فقط؟ ما من ذكرى أخرى؟».

حاولت ايف أن تبحث يائسة في الزوايا المظلمة من ذهنها علها تجد شيئاً.. أي شيء.. ثم هزت رأسها يائسة:

ـ لا شيء.. لكن هذا تقدم ملحوظ كايل. وكأنه صدع في الجدار، يبدو أننا أحسنا صنعاً بالمجيء إلى هنا.. وربما كان الأخصائي مخطئاً في تحذيرك من هذا.. لعله العلاج الذي أحتاج إليه.. ومن يدري كيف أصبح عند نهاية الأسبوع؟

لماذا يبدو مرتاباً وغير مقتنع على هذا النحو؟ أم أنه خائف مما قد تكتشفه؟ أيعقل أن يخاف مما هو مدفون في تلك الذاكرة الضائعة؟ سرت قشعريرة خوف باردة في جسد ايف، ودب فيها ارتعاش لم تستطع كبته.

إنها بحاجة أن تشغل تفكيرها وتلهيه عن مثل هذه الأفكار المضطربة.. فاستجمعت كل قوتها، ووقفت على قدميها، ثم مدت يدها إلى حقيبتها، وهي تفتش عن مفاتيح.. وتحاول ألا تُظهر إحساسها المضطرب بصمت الغريب الأسمر.

بالرغم من كل شيء، ظل كايل بالنسبة لها غريباً.. لم تفلح الأسابيع السبعة التي أمضياها معاً، أو الكلمات التي دسها في أذنها، أو ذكرى غرفة النوم السابقة، في تغيير ما، فهي ما زالت تجهل الحقيقة.. وما زالت لا تعرف كيف كانت علاقتها هي وكايل في السابق.. والأهم من كل هذا، لا تملك أدنى فكرة عن مشاعره نحوها الآن. أحياناً، كانت تبدر عنه بعض التصرفات، في البداية على الأقل.. لكن ماذا حدث لذلك الحب؟ إذ لا بد أن حادثة ما وقعت.. وإلا، فلماذا أرادت أن تتركه أصلاً؟

غشت الدموع الحارقة عينيها، وبدا أن المفتاح علق في قفل الحقيبة، حتى اضطرت إلى إجباره على الدوران.. وما لبث أن انفتح بعنف ليفضح الكثير من حالتها الذهنية المضطربة.

ـ من الأفضل أن أرتب ثيابي كي لا تتجعد أكثر مما هي عليه الآن.

لماذا لا يتكلم كايل؟ كم من الوقت يستطيع الوقوف هنا من دون التفوه بكلمة؟ يبدو أنه انطوى على نفسه، بعيداً عنها.. أوه.. أكان من الضروري أن تستعيد ذكرى؟

تسمرت يد ايف على حقيبتها وهي تدرك بماذا تفكر. ففي خلال السنتين المنصرمتين، لطالما اقتنعت أن قلبها سيثلج فرحاً لو استعادت تفصيلاً صغيراً من حياتها السابقة، لا بل إنها ستجن ابتهاجاً.. وها قد حدث هذا الآن.. لكن ما تشعر به هو خيبة الأمل المريرة.

لعل هذا ليس كافياً! فما تذكرته ليس بأهمية كبرى.. لم ينبئها بما يهمها فعلاً، بالعلاقة بينها وبين كايل.. ولأن هذا بقي مدفوناً بكل عناد، فقد انقادت إلى إدراك مشؤوم، أن العلاقة بحد ذاتها، هي المحنة التي تحدث عنها الأطباء.. وهي التي أفقدتها ذاكرتها. فقد وقع خطب ما بينها وبين كايل، حتى رفضت أن تتذكره في لاوعيها على الأقل..

ـ ربما، مع الوقت، قد تظهر ذكرى أخرى..

أجفلتها كلمات كايل الهادئة. كانت لهجته الباردة مؤلمة بغير حدود.. وتكشف عن الكثير مما يكتمه.. أشياء يعرفها، ولا تعرفها.

ـ نحن مضطران إلى الأمل.

جهدت ليبدو صوتها طبيعياً، وتعمدت أن تصب اهتمامها على إفراغ الحقائب، وهي تعض شفتها في كرب مفاجيء لإدراكها أن هذا أبعد ما تريده.. إنها تحتاج إلى الوقت لتكون مع كايل.. لتعرفه تماماً.. كما يفعل أي زوجين طبيعيين. إنها تريد أن تبني معه علاقة قوية يمكن أن تصمد إزاء أي سر في ماضيها، على أمل أن المحنة حين تزول أخيراً، لن تفصلهما مرة أخرى كما فعلت في الماضي.. لقد أرادت أن تأتي إلى هنا على أمل إحياء ذاكرتها بأسرع وقت ممكن، لكنها الآن تريد يائسة أن تؤخر تلك اللحظة قدر ما تستطيع.

غير أن، كل الوقت في الدنيا لن يساعدها، فمهما تقربا من بعضهما الآن، ومهما بنيا علاقة قوية.. فسيبقى الماضي موجوداً دائماً، ظلاً أسود

يلوح بشؤم على حياتهما، ويدمر أملهما في بناء مستقبل.

* * *

مد كايل يده أمام ايف ليلتقط اللفافة على قمة الملابس: «ما هذه؟».

ـ أوه.. هذه هدية من دايان، أعطتها لي قبل أن نغادر مباشرة.

ـ لمَ لا تفتحيها؟

استغلت ايف تلك الفرصة لتلهي نفسها عن أفكارها المقلقة، وفتحت جانباً من الهدية قبل أن تفكر.. وبينما أطبقت يدها على شيء ناعم وحريري رقيق، استعادت قول دايان: «هدية لتمضي العطلة بنجاح» وتسمرت في مكانها.

سألها كايل: «ما هي؟.. ايف..؟».

عرفت أن لا بديل أمامها إلا أن تفتحها، فالرفض سيثير فضوله أكثر. وهكذا جذبت بقية اللفافة الورقية لتكشف عما في داخلها.. فنفضت طرفاً حريرياً بلون القهوة مزين بالدانتيل العاجي، لتبصر قميص نوم رائع. تصورت دايان مرة أخرى وهي تبتسم، واختنق خداها بلون قاتم حارق.

قال كايل معلقاً بجفاء: «يبدو أن دايان تملك أفكاراً قاطعة عما سنفعله هنا».

قالت بصوت متكسر يتعذر سماعه: «هذا ما يبدو.. إنها تعتقد أنه سيكون شهر عسل ثان».

لكن كلماتها لم تلقَ إلا صمت مفاجىء، أخذ يرجّع صدى كلامها في الجو.

ـ آه.. وهل هذا ما تريدينه.. ايف؟

وأطبقت يداه القويتان على كتفيها، وأدارها لتواجهه، فيما شرائط الدانتيل الرقيقة لا تزال تتدلى من أصابعها وقد شلت فجأة.

لم يكن صوته يفضح شيئاً، ومع ذلك فقد دبت فيها وخزات إثارة وكأنها آلاف الصدمات الكهربائية الصغيرة تسري صعوداً ونزولاً على ظهرها.. وأكمل: «وهل خططت أيضاً لشهر عسل ثان؟».

كان صوته الخشن، يتملقها ويغويها.. وأحست ايف أنها قد تغرق فعلاً في عمق عينيه. وأكمل:

ـ أهذا ما تفكرين فيه لهذا الأسبوع حبيبتي؟

كان الصوت الناعم ذو اللكنة الأميركية ينسج حولها سحراً مغوياً، فيخدرها، وينتزع روحها من جسدها.

ـ هل خاب أملك حين.. تجنباً لصدمة عاطفية أخرى..

وظللت السخرية المريرة صوته وهو يكرر ما قالته: «.. حضرت غرفتي نوم منفصلتين؟».

لامست شفتاه الدافئتان خدها، وطالت للحظات تقطع الأنفاس، حتى أنها تأوهت من دون وعي احتجاجاً، حين ابتعدتا عنها، وأحست ببرد الحرمان. فسمعت ضحكة كايل الخافتة.. ومن خلف أهدابها، أحست برأسه ينخفض نحوها مرة أخرى.

تمتم بخشونة على عنقها: «هل هذا ما تريدينه ايف؟».

ـ أجل!

تصاعدت في داخلها مشاعر من الابتهاج الحار كالنار البيضاء فقبضت يداها بتشنج على شعره الأسود.

اتسعت عيناها الآن.. وراحتا تحدقان من دون تركيز. لم تصدق قوة هذه المشاعر أو تدفقها.. وأخذ كايل يرجعها إلى الوراء، نحو الفراش.

تمتم بخشونة: «لقد قلت إنك ستسأمين الطريقة الآمنة.. وإنك تريدين أخذ فرصتك لتتذكري.. وإنك مستعدة للمخاطرة كي تواجهي الأشياء التي كانت هامة في الماضي.. حسن جداً.. هذا كان هاماً.. والله يعرف..».

وفجأة، اخترقت فكرة صغيرة ذهن ايف عبر السديم الأحمر الذهبي الذي ملأ رأسها.. بدت وكأنها نصل سكين ثلج، جَمد للحظة الخفقان المحموم لقلبها.. هل هذا ما تريده حقاً؟ هل هي، مستعدة للمخاطرة بعواقب هذا العمل كما قال؟ لم تشك في أنها تريد كايل.. وستكون في غاية

الحماقة لو حاولت إنكار هذه الأحاسيس المتلهفة.. إنه كل ما تريده، جسدياً وعاطفياً.. ولم تكن تأبه لو كان هذا مجرد محاولة أخرى لاختراق الحواجز التي في رأسها.. إنها تريد أن تعرف أنه يحبها فهذا هو ما يحقق سعادتها.. لكن، تبقى المخاطر..

إنها بحاجة إلى معرفة الحقيقة في مرحلة ما. لا بل إلى مواجهة الظل الأسود الذي يلوح فوق حياتها. لكن، أتستطيع مشاعرها الحساسة أن تتعامل مع الحقيقة لو فجرت الحواجز التي بنتها حولها، في ظل هذا الجو المشحون بالعاطفة؟ ماذا لو أنها، في اللحظة التي تمنح كايل حبها، اكتشفت بالضبط لماذا تركته له في الماضي؟

ـ كايل..

كان صوتها ضعيفاً ومهتزاً، فلم يسمعه في البداية.. فجربت مرة أخرى: «كايل».

أجفلته رنة ما في صوتها، فرفع رأسه بحدة لينظر إليها، وفي عينيه مزيج من القلق ونفاذ الصبر.

ـ ما الأمر؟ ايف.. ماذا هناك؟ ماذا جرى؟

ـ كايل.

كان عليها أن تجبر نفسها على الكلام، في وقت لم ترغب فيه إلا أن تضمه بين ذراعيها مطالبة بحبه بكل الحرارة القادر عليها.

ـ أهذا.. صواب؟

ـ صواب؟

ابتعد عنها وهو يصدر صرخة متفجرة ترجع صدى حركته، ورمى نفسه عن السرير ليسير فوق السجادة نحو النافذة، ثم يتوقف في منتصف المسافة.. أحنى رأسه الأسود الشعر، فيما ظهره القوي متوتر ومتصلب رفضاً.. صدمتها ردة فعله، لكنها لم تستطع إلا أن تنتظر في صمت مرتجف، وهي تعض شفتها بارتباك عصبي..

في تلك اللحظة استدار كايل إليها مجدداً، وارتجفت كل أعصابها

الحساسة إزاء نظرة في عينيه.

قال بخشونة: «صواب؟ ايف.. لم أعرف أحداً غيرك منذ..».

وفيما هو يكمل الرد على السؤال الذي لم تطرحه، أدركت ايف أنه رد كان يجب أن تفكر فيه لنفسها. لكنها، لحماقتها، لم يخطر ببالها.. فكايل رجل قوي ومليء بالصحة.. وكانت منفصلة عنه منذ سنتين.

ـ لم يكن هذا ما عنيت.. ولو أنني أشكرك على..

قاطعها بخشونة: «إذن ماذا؟ ماذا..؟».

وفجأة أدرك ماذا تعني، فزال عنه الغضب الأسود، لكنه لم يخفف من التوتر في العضلات التي خطت خطوطاً بيضاء حول عينيه وفمه.

ـ أنت لا تستخدمين شيئاً..

ـ لا.

يا إلهي.. كم هي ساذجة جداً، ووبخت ايف نفسها.. هل أضاعت كل تعقلها السليم كما أضاعت ذاكرتها؟ لقد قال لها كايل إنه يريد أولاداً.. ولو أن هذا كان من الماضي.

ـ لكن..

ـ وبالطبع لا تريدين أن تصبحي حامل.

تشابك صوته بصوتها، فسمرت المرارة السوداء في لهجته الاحتجاج على شفتيها.

ـ أفهم هذا تماماً.

إزاء توتر ايف، مرت أسارير وجهه بتغيير درامي آخر، وارتفعت يده لتغطي عينيه لحظة.. حين أخفضها ثانية كان وجهه قد فقد كل لون.. وبدت بشرته شفافة تقريباً حول عظام خديه القويين.

ـ أوه.. يا إلهي.. طبعاً لا تريدين ذلك.

للمرة الأولى، بدا أنه يركز نظره جيداً على وجهها، فرأى شحوبها، والعينين القاتمتين بلون «البانسيه» وكأنهما كدمتان فوق خديها، فأخذ يتمتم شاتماً بعنف.

ـ كايل.. ما الأمر؟

كانت ايف على وشك الخروج من السرير، وهي تحتاج أن تتقدم منه، أن تضمه، أن تفعل أي شيء لتمسح تلك النظرة الكئيبة عن وجهه.. لكن، وفيما هي تتحرك، رفع يديه بإيماءة خشنة، وهو يرفض اهتمامها.. رفض قرأته الآن في عينيه.

وما لبث أن رماها بكلمات متوحشة مرتجفة: «لا ايف.. ليس الآن! يا إلهي العزيز.. لا أستطيع..».

ومن دون أن ينهي الجملة، رمى بنفسه إلى خارج الغرفة، وكأنه يريد أن يبتعد عنها قدر ما يستطيع.. وبأسرع وقت ممكن.

صرخت: «كايل!».

وكانت صرخة مرتجفة يائسة.. صرخة عرفت ايف أنها لم تلق صدى، فهو لن يعود.. مهما نادته.

بجهد يائس، قاومت رغبة طبيعية تدفعها إلى اللحاق به.. لكنه، لن يرغب في رؤيتها، لا سيما في هذا المزاج..

عنفت ايف نفسها بشراسة: أوه.. أيتها الحمقاء.. أيتها الحمقاء! وفكرت أنها تصرفت بغباء كبير.. لكن الحقيقة أنها وجدتها فرصة لتنفرد به، في ظل جو حميم غير متوتر في منزل أسرة بينيت، أو حتى في شقته الحافلة بذكريات عن الشجار السابق. ما لم تتوقعه قط أن تكون اللحظة قد حلت بسرعة كبيرة.

لكنها حلّت فعلاً.. وتعاملت مع الأمور بشكل أخرق. لارتاحت أكثر لو أنها عرفت مشاعر كايل حقاً.. هل بقي الحب الذي اعترف به صراحة سالماً خلال سنتين؟

لماذا لم تسأله؟ حين ارتمى هذا السؤال في وجهها، دفعته عنها مرة أخرى، وهي تعرف أنها لم تكن تملك الشجاعة الكافية لتقوم بعمل مباشر كهذا.. فعلى أي حال، كيف يمكن لكايل أن يرد عليها بصدق؟ كيف يمكن لأي منهما أن يعرف الحقيقة الكاملة وظل ماضيهما يحوم حولهما من

دون تفسير؟ ومع أنها كانت تحبه بعمق، ومع أن مجرد التفكير بفقدانه يشبه مواجهة الموت، إلا أنها لن تتمكن من الاعتراف بهذا الحب أبداً.. فمن يدري؟ قد تعود ذاكرتها في يوم ما، وتعود معها وقائع تثبت أن هذا الحب كاذب.

لكن، هذا هو سبب وجودها هنا.. وجمعت ما تبقى من شجاعتها المشتتة، ثم خرجت ببطء من السرير، وهي تتحرك متألمة، وكأنها تشعر بكدمات جسدية. عليها أن تستغل هذا الأسبوع بأفضل ما يمكن، وبدأت تفرغ حقيبتها، وكلها عزم على إنعاش ذاكرتها النائمة.. فهي لا بد نائمة، ولن تستطيع أن تصدق أنها ميتة، ذهبت إلى الأبد.. ولسوف تنجح.

ستطلب من كايل أن يأخذها إلى كل الأماكن القديمة المفضلة لهما، حيث أمضيا معظم أوقاتهما حين كانا يعيشان هنا معاً.. بالتأكيد، سيقوم ثقل الذكريات بفعلته حتى يتحطم الجدار بينها وبين الماضي.

يجب أن تتذكر.. يجب أن تعثر على ماضيها.. وإلا، انتفى المستقبل الذي يجمعها بكايل.

***

٩ ـ خذي الماس وأعطيني . . .

كانت ايف مضطرة إلى ضخ الحماسة في سؤالها: «حسن جداً . . أين سنذهب اليوم؟».

كان اليوم يوم الخميس، وهما في نورفولك منذ خمسة أيام، قاما فيها بالتجول في كل زاوية من زوايا المقاطعة، إضافة إلى أجزاء من مقاطعة «نورفولك» المجاورة . . لكن ايف لم تلق التأثير الذي تأمله وتصلي من أجله .

لقد تمتعت تماماً بكل الرحلات التي قامت بها مع كايل، واستنتجت أن المناظر التي استحوذت على إعجابها في الوقت الحاضر هي نفسها التي أعجبتها في الماضي . . ومع ذلك، فكلها جديدة في نظرها . .

كان كايل يجلس قبالتها إلى مائدة الفطور، في كنزة رياضية فضفاضة وبنطلون جينز، فراح يتأوه بمبالغة وهو يدفن وجهه بين يديه بيأس ساخر .

صاح محتجاً: «ألا تتعبين أبداً؟ إننا نجول من دون توقف منذ يوم الأحد . . أو يوم السبت في الواقع، نظراً لأنك تصرين على الخروج منذ أفرغت حقيبتك . . . ».

ـ لكننا . . لا نملك سوى أسبوع! ويجب أن نزور كل الأمكنة .

ارتسمت الكآبة على وجه كايل:

ـ ايف . . حبيبة قلبي . . أعتقد أننا زرنا كل الأمكنة . . لو يستوفت، غرايت يارموث، كما اكتشفنا ملاذ ثعلب الماء . .

ثم رد على ابتسامة ايف بأحسن منها، فيما استغرقت في التذكر:

ـ . . ولقد تمتعت بهذا . . أليس كذلك؟

أشرقت عينا ايف وهي تتذكر الساعات التي قضياها في مراقبة المخلوق، البراق العينين، الطويل الذنب، يلعب في البركة الواسعة:

ـ بل أحببته! لكنني أحببت «الديبورة» كذلك . . و «بوري سانت ادموند» و «سومير ليتون» بشبكة متاهاتها . . عرفت لاحقاً أنك لو أردت الدخول إلى المتاهة ثم الخروج منها، فما عليك إلا البقاء إلى اليسار . . لكنني سأتذكر هذا دائماً الآن . .

وما إن أبصرت التغير في العينين البنيتين العميقتين، والعبوس على وجهه حتى استدركت، وحاولت بسرعة أن تخفي غلطتها . .

ـ القرى في هذه المنطقة جميلة جداً . . ولقد أحببت كل الأكواخ الصغيرة المسقوفة بالقش . . لكن . .

دخل كايل بصراحة إلى صلب الموضوع: «لكنك لم تستعيدي ذاكرتك».

ـ لا .

أزاحت ايف طبقها جانباً، وقد فقدت شهيتها للطعام، الذي كانت تلتهمه منذ لحظة . . كان يصعب عليها أن تنظر إلى عينيه المتفحصتين . . ووعت بألم كل الكلمات الصامتة فيهما . ثم فكرت في الأيام التي أمضياها يستكشفان الريف، ويزوران الأماكن التي أكد لها كايل أنها تحبها، فنجحت في تجنب الموضوع الأكثر إثارة للخلاف، حول علاقتهما الجسدية الحميمة .

كانا يمضيان ساعات طويلة في الهواء الطلق، فيعودان إلى «مونتاغوي» منهكين لا يفكران سوى بوجبة طعام ونوم مبكر . . كل وحده . فمنذ نزلت ايف إلى الطابق الأسفل بعدما أفرغت حقيبتها يوم وصولهما، وجدت كايل يتصرف وكأن ما حدث في غرفة نومها لم يكن أصلاً . ومن دون أن تسأله، أبقى كايل يديه بعيدتين عنها . . بعيدتين أكثر من اللزوم . . وأقنع نفسه بالقبل القصيرة، التي لا تتعدى القبلات الأخوية في مساء كل يوم . وأحست ايف بالإحباط لهذه المداعبات الخالية من العاطفة، فكانت تخلد إلى الفراش

كل أمسية وهي تقاوم الشوق القوي داخلها..

قالت متوسلة، ليفهم كم يهمها الأمر:

ـ لا بد من وجود أمكنة أخرى.

قطب كايل وهو ينظر إلى قهوته، وكأنه قد يجد الرد في قعر الفنجان.

أخيراً قال: «شيرينغهام».

سألت: «شيرينغهام؟ أي إلى الشمال من هنا.. أليس كذلك؟ على الساحل؟».

هز كايل رأسه: «إنها تقع غربي «كرومر» مباشرة، قرية ساحلية صغيرة».

ـ إلى شيرينغهام إذن!

وأجفلت ايف لرنة صوتها.. كان حماسياً من القلب، وواضح أن كايل اعتقد هذا كذلك.

ـ ايف.. هل فكرت بما قد يحدث لو..

ـ لو أنني لم أتذكر قط؟

أوه.. أجل.. لقد خطر لها الأمر ثم دفعت الفكرة بعيداً مصحوبة بالخوف الذي جاء معها.. لن تستطيع تحمل لو فشلت رحلتها إلى نورفولك، فشلاً ذريعاً.

قالت: «لقد فكرت بالأمر.. لكنني لن أستسلم إلى أن نجرب كل الإمكانيات.. لذا..».

وبمقاومة، عاد صوتها إلى طبيعته.

ـ اليوم سنزور شيرنغهام.. هيا أيها الكسول، انهض على قدميك وساعدني لأغسل الصحون، كي نخرج.

منذ تلك اللحظة، تقدمت إلى الأمام، مدفوعة بتصميم وثبات.. وهي تحاول أن تفكر بإيجابية. طوال اليوم الغائم، راحا يستكشفان القرية، إضافة إلى القرية المجاورة الأكبر حجماً «كرومر».. لكن، طريق العودة إلى المنزل، كان مغايراً. فما إن وصلا منزل مونتاغوي، حتى أحست بتشاؤم يسري فيها

مثل الغيم الأسود الذي بدأ يتجمع في الأفق.

انفجرت بينما تهالكت على الأريكة بتنهيدة تعيسة:

ـ لا شيء.. ! لا شيء أبداً! ولا حتى لمحة واحدة من الذكرى!.. كان من الأفضل لو بقينا في المنزل.. في الواقع، ما كان يجب أن نأتي إلى نورفولك، لأن هذا لم يولد فيّ أي جديد!

رد بهدوء: «هذه ليست نهاية العالم».

وكان رده بالنسبة لايف خالياً من أي عاطفة.

ردت بحدة: «بالنسبة لك ربما! لكنه يعني الكثير لي».

ازداد مزاجها المنزعج تفاقماً، لا سيما حين استعادت اللهجة المهتمة في صوت كايل ذلك الصباح حين حاول أن يحذرها أنها قد لا تستعيد ذاكرتها مجدداً.. وتصاعدت دموع المرارة إلى عينيها فيما أخذت تخفيها جاهدة.

ـ أعرف، لكن.. اسمعي، لقد تجاوزت الساعة السابعة. لم لا أحضّر طعاماً؟

ـ لا أريد أن آكل شيئاً! لست جائعة!

كيف يمكن أن يفكر بمعدته فيما هي على وشك أن تخسر مستقبلها كله؟

ـ لا أستطيع أن آكل شيئاً.

ـ يجب أن تحاولي..

ـ لا أريد! كيف يمكن أن تكون على هذا الشكل؟ أنت تتصرف وكأنك لا تهتم حقاً..

قال بصراحة: «أنا لا أهتم».

وصدمت.. لم تقوَ إلا على التحديق فيه غير مصدقة: «أنت..؟».

ـ أنا لا أهتم لو لم تستعيدي ذاكرتك أبداً.. أو لو استعدتها فجأة خلال ثانيتين.. فأنا أحبك مهما حدث.

ـ ماذا؟

لو كان قد أذهلها من قبل، فكلماته الأخيرة هذه دمرتها تماماً.. فهل

قال حقاً ما خيل إليها أنه قاله أم أنها تتخيل الأشياء؟

ـ أنت.. ؟ أنت..؟

التقى كايل بعينيها الزرقاوين المتسائلتين بهدوء عميق.. وما لبثت العيون أن تشابكت من دون أثر للتردد أو الشك.

ـ أحبك ايف.. لكنك بالتأكيد تعرفين هذا.

ـ أنا.. لكن..

وتمنت ايف لو تستطيع ترجمة أفكارها في نوع من الشكل المفهوم.

ـ أعرف أنك أحببتني من قبل.. حين كنا معاً.. لكن، منذ ذلك الوقت..

هنا خذلها صوتها تماماً، ثم رجفت حنجرتها وهي ترى وهج العاطفة على وجهه.

ـ يا إلهي.. ايف.. هل تظنين أنني توقفت عن حبك؟

إذا كانت ترتاب بذلك، فلا مجال للشك الآن.. لقد كانت مخطئة.. كانت مشاعره مطبوعة بوضوح على قسماته القوية.

بدأت تتمتم: «كايل..».

لكنها لم تستطع أن تستمر فقد خذلها صوتها مجدداً.

ـ أوه.. اللعنة..

وتقدم ليجلس إلى جانبها وهو يمسك يدها، وقد أنبأتها قوة قبضته عن إحساسه: «لم أخطط أن أقدم على الأمر بهذه الطريقة..».

مد يده الأخرى إلى جيبه: «هل تذكرين أنني وعدتك في حفلة عيد ميلادك بهدية تفوق الزهور قيمة؟».

ظهرت على وجهه ابتسامة سريعة وساخرة وفاتنة دون حدود.

ـ على الأرجح تظنين أنني لا أفي بوعودي.. وأقسم أنني كنت أنوي أن أبر به.. لكنك كنت غاضبة بحيث أعدت التفكير.. ولم يبدُ لي الوقت مناسباً.. لكن، حين وافقت على المجيء إلى هنا، فكرت...

استجمع قوته بابتسامة صبيانية كان لها تأثير مدمر على ايف.

قال بلمسة ساخرة: «أنا ضائع.. ألقي اللوم على أعصابي.. ايف، لقد سألتك هل تحبين ارتداء الألماس، لو منحتها لك..».

أحست ايف وكأنها تتلقى عدة ضربات قوية على رأسها، فاستحال عليها أن تفكر بجلاء.. كانت بالكاد قد استعادت رباطة جأشها بعد توتر كايل حتى أيقظ ذكر الألماس كل اهتمامها فاضطربت وجف فمها فجأة.

لا يمكن أن يعني.. هل يمكن؟ ليس الآن.. ليس وهي على هذه الحالة من الارتباك الكامل.. بالكاد تعرف كيف تفكر، هذا عدا بماذا تفكر.

لكن كايل كان قد أخرج يده من جيبه، ثم مدها نحوها وهو يفتح أصابعه المطوية ويكشف عن علبة كحلية صغيرة. كانت تعرف أنها لا يمكن أن تحتوي سوى على غرض واحد، إلا أنها لم تكن تملك فكرة هل تتشوق إليه أم تخشى من رؤيته.

ـ ايف.. حبيبتي.. هل تعودين إلي؟ هل تضعين هذا الخاتم مجدداً وتكونين زوجتي.. و..؟

ـ كايل..

وكان صوتاً أجش متكسراً، هو كل ما قدرت عليه.. مرة أخرى خذلها صوتها وهي تتلفظ باسمه ولم تعد تعرف كيف تكمل.. شعرت وكأن المشاعر القوية التي تختبرها، تجمعت في عقدة واحدة قوية في حلقها حتى منعت أي كلام من الخروج.

ـ أوه.. أعرف أنه ليس الوقت المناسب.. فالوقت مبكر جداً، ومتأخر جداً، معاً.. كان يجب أن أنتظر حتى تشعري بسعادة أكبر داخلياً.. أو أن أسألك مباشرة، ومنذ سبعة أسابيع.. لكن الحب ليس هكذا، الحب لا يعرف وقتاً.. لا يجلس بنظام في زاوية ما بانتظار أن تحتاجي إليه.. إنه يقفز ويصدمك في الوجه، بينما لا تتوقعينه.

كانت ضحكته أشبه بابتسامته السابقة، مهتزة قليلاً وفيها شيء من السخرية بالنفس.

ـ ولقد تقرر مصيري منذ ثلاث سنوات ونصف حين وقعت شقراء جميلة عن السلم المتحرك بين ذراعي مباشرة.

ـ أنت.. أحببتني..

كانت ايف لا تزال تجد مشكلة في فرض النظام على أفكارها الحائرة.. وبدا أن عقلها يتأرجح من إحساس إلى آخر.

ـ لقد ظننت أنني مجنون بحبك.. لكنني لم أكن أعرف نصف الحقيقة.. أما حين رحلت، فأدركت ما أشعر به حقاً.. ولم أعد أعرف كيف أعيش دونك..

أنبأتها المشاعر الفجة في عينيه، كيف أحس حين اكتشف رحيلها، ووبخها ضميرها بوحشية لفكرة أنها مسؤولة عن الألم الذي حفر جوانب قلبه.

همست: «أنا.. آسفة».

وشد قبضته على يدها.

ـ لا بد أنك كنت تملكين أسبابك.. وكم أتمنى لو أعرف ذنبي.. لن يقودنا هذا الطريق إلى أي مكان ايف.. فالسنتان الماضيتان منذ تركتني كانتا أطول أوقات حياتي. وعرفت أنك لا تريدين مني أن أجدك.. لكنني لم أستطع التوقف عن البحث، لم أكن أعرف أنني أبحث عن «ايف مونتاغوي» ولا عن «جانفياف بوكانن».. لكنني، حين قرأت أول فصول كتابك، أحسست وكأنني ضربت بمطرقة، ظننتك تتعمدين إثارتي وتسخرين مما كان..

قاطعته بلهفة: «لا يمكنني أن أفعل هذا!».

وهز كايل رأسه متفهماً: «أعرف.. لكن منذ ذلك الوقت، لم أعد أفكر بشكل صحيح.. فجئت أبحث عنك.. وكنت غاضباً.. مستعداً للقتل».

تمتمت: «كان يبدو عليك هذا».

وتذكرت العنف الذي كان بالكاد يسيطر عليه، وهالة الخطر التي

أخافتها كثيراً.. المشكلة أن جزء من تلك الهالة ما زال موجوداً.. لكن قوة حبها له كفيلة أن تمحو كل شيء.. لكنها لن تتمكن من محوها إلى الأبد إلا حين تعرف لما هجرته..

أكمل كايل: «لكن، حين أغمي عليك.. ذعرت للطريقة التي تصرفت بها.. وعرفت أنني كنت أكذب على نفسي بالتظاهر أنني أكرهك، وبموت حبي لك. كنت أعرف أنه لا زال موجوداً، قوي أكثر من أي وقت مضى.. بل أقوى بكثير.. ثم قال لي جيم إنك فقدت ذاكرتك..».

هز كايل رأسه الأسود الشعر في إيماءة كشفت كل الارتباك والكرب اللذين أحس بهما في تلك اللحظات.

ـ لم أعرف ما العمل.. لم أعرف هل فقدت ذاكرتك حقاً، أم أنها مجرد طريقة تقولبن فيها إنك لم تعودي تريديني.. لم أكن أعرف هل كان السبب ذنب اقترفته، وإذا كان هذا هو الحال، هل أذهب وأتركك بسلام؟. لم أعرف هذا أيضاً، وحين اقترحت أن نتعامل مع الأحداث بروية، بدا لي الأمر بمثابة طوق النجاة، وتمسكت به، ثم فيما بعد، ملكت الوقت لأفكر وأهدأ، فسعيت إلى نصيحة أخصائي، وأقسمت أن آخذ الأمور بروية شديدة وثابتة، وأن أمنحك كل الوقت الذي تحتاجين إليه.

مرة أخرى التوى فم كايل بابتسامة ساخرة:

ـ لكنني لم أتمكن من هذا تماماً.. أحياناً كنت أضغط عليك بقوة.. وأتطلب منك أكثر مما تستطيعين أن تقدمي.. وكنت أحسّ إحساساً رهيباً فيما بعد.

لكنه لم يتصرف هكذا إلا مدفوعاً بقوة مشاعره، وها هي ايف تعرف هذا الآن.

قال كايل ساخراً: «وها أنا أضغط عليك مجدداً.. أليس كذلك؟ ها أنا ذا أطلب منك أن تعودي وتعيشي معي كزوجتي، حتى إنني لا أعرف مشاعرك نحوي».

ـ هذا أمر بسيط.. فأنا أحبك كثيراً كما تحبني تماماً..

ستكون حمقاء لو حاولت الإنكار الآن، إنها تعرف أن هذا يظهر في توهج عينيها، واللون الدافىء على خديها، والابتسامة المشرقة التي لا يمكن أن تمنعها بأي شكل.

ـ وسأتخلى عن أي شيء في الدنيا لأقول نعم، أعود إليك.. فهذا ما أريده من كل قلبي. لكن أظن أنني بحاجة إلى المزيد من الوقت.

واعترفت في سرها أنها لا تحتاج إلى وقت لتتخذ قرارها، فهذا مقرر سلفاً.. هذا إذا كان من قرار تتخذه حقاً، فما إن أدركت كم تحبه، حتى أرادت أن تقضي بقية حياتها معه، ستفعل أي شيء ليبقيا معاً إلى الأبد.. لكن الأمر ليس بسيطاً إلى هذا الحد.

ليس من حقها أن تقبل طلب كايل.. ما من شيء يجبرها أن تكون زوجته.. في وقت لا تعرف لماذا تركته أصلاً، أو كيف شعرت نحوه خلال الأسابيع القليلة التي سبقت هربها من هذا المنزل.. وحتى تتلقى الرد، لن تستطيع إلزام نفسها به.. ليس لأنها لا تثق بكايل، بل لأنها لا تستطيع الثقة بنفسها. لقد جرحته سابقاً بقسوة، ولن تتحمل أن تجرحه مرة أخرى، فهي تحبه كثيراً، وتفضل أن تحرم نفسها من السعادة إلى جانبه، على أن تخاطر بعواقب تتأتى عن عودة ذاكرتها.

لكن الأمر صعب جداً! فجأة، انهمرت دموع المرارة التي كانت تهددها، وهذه المرة، لم تستطع أن تسيطر عليها.

قال كايل بصوت حاد قلق: «أوه.. ايف! يا إلهي.. حبيبتي لا تبكي!».

وضمها بين ذراعيه، وهو يسحقها على صدره القوي.

ـ أوه.. كايل.. لا يجدر بالأمر أن يكون هكذا! لقد أعلن كلانا حبه للآخر.. أنت تريد عودتي، وأنا أريد أن أعود.. وعلى هذه اللحظات أن تكون الأروع.. بل إحدى أسعد لحظات حياتنا.. لكن، بما أنني أجهل ذلك الجزء الضائع من ماضي، فقد انقلب كل شيء إلى كابوس..

هدأها كايل: «هس.. حبيبة قلبي».

كان صوته أجش حافلاً بالمشاعر التي تماثل مشاعرها.. وأحست بيديه على شعرها، وهما تبعدان الخصل الذهبية عن وجهها.. وتلقت مداعبة ناعمة مواسية.

لكن، بعد ثانية، وخلال طرفة عين، انقلبت هذه المواساة الرقيقة، إلى شوق باهر. كانت ايف مرهقة جداً، وقد استنزفت عاطفتها، ولم تفكر حتى بأية كوابح.. لكن كايل كان هو من انتزع نفسه بعيداً بأنفاس خشنة، ثم رفع يده إلى شعره قبل أن يحيط خصرها بذراعه ويشدها قريباً منه حتى سمعت ضربات قلبه المتسارعة وهو يكافح ليسيطر على نفسه.

قال وكأنه يقسم بعمق: «لو تزوجتني، فسأمنحك مستقبلاً تنسين معه أن ليس لك ماضي».

وأحست ايف أن قلبها أخذ يخفق متثاقلاً استجابة لرنة صوته..

قالت وهي تتوسل بهمس: «كايل.. أخبرني عن نفسي.. أي حادثة سعيدة..».

ـ صادفتنا الكثير من الأيام السعيدة.. صدقيني.. مثل المرة الأولى..

قاطعته بحدة: «لا!».

ما كانت تريد هذا.

ـ أخبرني.. أخبرني كيف كانت.. علاقتنا.

كانت لحظات الصمت استجابة كايل الفورية، بدا لها أنها تمتد إلى ما لا نهاية، فانتظرت وقد فرغ صبرها. كان إحساسها يزداد مع كل لحظة تمر. وظنت أنه لن يرد عليها.. حينها، تنحنح بخشونة. وقال بصوت أجش:

ـ كنت رائعة.. وخجولة جداً في البداية.. وبريئة. لكن مع ازدياد ثقتك بنفسك، أصبحت منفتحة.. معطاءة..

طعنتها لهجته الحساسة في القلب مباشرة. أحست بما تشاركاه يوماً، شعور لا تعرف الآن عنه شيئاً.. لم تكن العاطفة المشبوبة في شقة كايل تماثل الأمان المتوهج للحب حيث لا كوابح، ولا تردد. فالحب هو علاقة شخصين في اتحاد مكتمل. شعرت بذراع كايل تشتد حولها، ودفء جسده

القوي إلى جانبها، وأدركت أخيراً بما لا يدع مجالاً للشك، أن القول لها ليس كافياً.. يجب أن تعرف.. وأن تعرف الآن.

بدأ كايل يقول: «أنت..».

لكنها تلوت تحت ذراعه، ورفعت يدها لتضغط أصبعها على شفتيها وتسكته.

همست: «لا تقل المزيد كايل.. لا تقل لي حبيبي.. بل أظهر لي!».

في هذه الليلة وحدها على الأقل، ستنسى الماضي وغموضه، ستنسى المستقبل ومخاطره المحتملة.. في هذه الليلة ستعيش لحاضرها، ولا شيء غيره.. هذا الحاضر هو كل ما تريده.

***

كانت ايف في الحديقة حين رن جرس الهاتف. تردد صداه داخل المنزل الفارغ فسارعت إلى الردهة لترفع السماعة: «آلو؟».

أرجوك ربي.. ليكن المتصل كايل! لم تستطع أن تصدق أن أربعاً وعشرين ساعة مرت منذ غادر إلى لندن.. لقد اشتاقت إليه كثيراً، حتى أنها أحست أن عمراً بكامله مضى منذ الليلة الماضية.

ـ هل أستطيع أن أتكلم مع السيد جنسن أرجوك؟

سرت في ايف موجة خيبة أمل وهي تسمع صوت امرأة في الطرف الآخر من الخط.. إنه ليس كايل، فهو مشغول جداً ليتصل بها.. أو ربما يكمل عمله في لندن، أو لعله عائد الآن إلى نورفولك.

ـ أنا آسفة.. لكنه اضطر إلى السفر إلى لندن.. لأزمة تتعلق بعمله.

ولم تستطع أن تخفي رنة الأسى من صوتها، فاستعادت ذكرى الأمسية السابقة، حين قاطع وجبتهما المتأخرة اتصال هاتفي مماثل، ليخترق الجو الدافىء السعيد.. كانت لا تزال تسمع الانزعاج في صوته، ونفاذ الصبر الذي يكاد لا يسيطر عليه.

قال بحدة: «لكن، ألا تستطيعين التعامل مع المسألة كاتي؟ بالتأكيد..؟.. أوه أجل.. حسن جداً إذا كنت تظنين أنه بالغ الأهمية».

وما لبث أن ترك السماعة بصدمة قوية، واستدار إلى ايف: «أنا آسف جداً حبيبة قلبي..».

لم يرغب في الذهاب فوراً.. فاضطرت إلى حثه، تؤكد له أنها لا تمانع أبداً، بينما كانت تمانع، وكثيراً. فرسمت ابتسامة زائفة وأخبرته أن يسافر فوراً بدل الانتظار حتى الصباح كما قرر.

واندفعت تجادله: «بهذه الطريقة، ستكون في المكتب باكراً، وتنهي كل أعمالك ثم تعود إليّ في المساء الباكر.. أما إذا ذهبت غداً، فلن تصل إلى هناك قبل منتصف النهار، وعلى الأرجح لن تتمكن من العودة إلى البيت قبل السبت على الأقل».

ورفضت إظهار كربها، بينما كانت تدفعه نحو السيارة.

ـ سأعود في أسرع وقت ممكن.. حتى ولو اضطررت إلى القيادة ليلاً.

وتوسلت إليه: «قد السيارة بحذر.. وعد إلى البيت سالماً».

التمعت عيناه لتظهر كم عنت له كلمة «البيت». ثم وعدها بعمق: «سأفعل».

لكن جموداً غريباً تولاه فجأة وهو ينظر بعمق إلى وجهها، حتى أصبحت نظرته قاتمة مفكرة.

ـ حين نعود، لدي كلام جدي أقوله لك.. علي أن أطلعك على بعض الأحداث.

لم تنتبه لجملته الأخيرة حقاً. ولم تدرك ايف إلا الآن هذا الإحساس بالخسارة، الذي راح يمزقها فيما سيارته تبتعد. ضحلت كل الأفكار الأخرى من رأسها، وعرفت بخوف وتوتر ماذا كان يعني.

ـ آلو؟

عادت ايف إلى الحاضر بسرعة وأدركت أن المرأة على الطرف الآخر من الهاتف قد تمتمت بشيء آخر..

ـ أنا آسفة.. فأنا لا أعرف موعد رجوعه.. اسمعي سيدة الدرسون.. أنا جين.. هل أستطيع أخذ رسالة؟.

ـ أوه.. هكذا إذن.. لم أكن أعرف.. حسن جداً، اطلبي منه فقط أن يعلمني متى أبدأ العمل مجدداً؟ لقد قال لي أن آخذ إجازة هذا الأسبوع، وأنه سيتصل بي حين يريدني أن أعود.

ـ حسن جداً.. سأقول له. سأطلب منه الاتصال بك ما إن يصل إلى هنا.. الليلة ربما.

أعادت سماعة الهاتف إلى مكانها. وكانت تتجه إلى المطبخ حين هبطت عليها الحقيقة الكاملة، وكأنها النور الذي يعمي البصر، في غرفة شديدة الظلام.. فتسمرت في مكانها كالميتة في ذهول مصدوم.

قالت بصوت مرتفع: «سيدة الدرسون!» وارتجف صوتها بالمشاعر: «سيدة الدرسون!».

لقد عرفت اسم المرأة، وعرفت صوتها! عرفت أن المرأة التي كانت تكلمها هي المرأة التي تأتي كل يوم لتنظف المنزل وتعتني به.. ولقد تكلمت معها بصفتها «جين» لا «ايف» بل «جين»، الاسم الذي كانت تستخدمه قبل أن تلتقي كايل.. قبل أن تفقد ذاكرتها.

ـ أوه.. يا إلهي!

ارتمت ايف على كرسي قريب، إذ لم تقوَ ساقاها على دعمها. السيدة الدرسون.. جين! لقد استعادت ذكرى أخرى.

لكن، كيف تتذكر عاملة التنظيف في وقت لا تذكر فيه أدنى التفاصيل عن كايل، هذا الرجل الذي عاشت معه في الماضي والذي تحبه الآن بكل جوارحها؟ كيف يمكن لهذه الشخصية الثانوية من ماضيها أن تتغلغل إلى عقلها، بينما أهم إنسان في حياتها لا يزال لغزاً بالنسبة لها؟

ألأنها تقيم في «منزل مونتاغوي» لأكثر من أسبوع، بدأ الجدار بينها وبين ذكرياتها يضعف تدريجاً بحيث أصبح للأسماء هويات، مثل السيدة الدرسون؟ أيعقل أن هذا قد بدأ يتسرب عبر الشقوق بين حجارة الجدار؟ لكن، في هذه الحالة لم لا تتذكر كايل؟ فهو أكثر من تحب ويعني لها الكثير.

أم أن العكس هَو الصحيح؟ وفجأة، طالعها اسم إحدى الأخصائيات

التي دأبت على القول إن فقدان الذاكرة لا ينتج عن سبب جسدي في العادة أبداً.. وإنما سبب عاطفي.. ومن المحتمل أن يكون نتيجة محنة ما، محنة لا يتحمل من يعانيها أن يتذكرها.

ـ لا!

أطلقت ايف صرخة، وهي تدور حول الغرفة بقلق. كانت مصعوقة، ومكروبة جداً، حتى عجزت عن البقاء من دون حراك. إذا كانت لا تستطيع أن تتذكر كايل، فهذا يعني بالتأكيد أن المحنة التي ألمت بها، أياً كان سببها، تتعلق بالرجل الذي تحب.. وهي لطالما شكت في هذا الاحتمال. لكن تعرفها إلى السيدة الدرسون الآن بدا وكأنه يؤكد نظريتها.. وما إن أدركت الأمر حتى أطبق على قلبها إحساس قاس، بارد كالثلج.

ما السر الذي يجب أن تكشفه عن الرجل الذي منحته قلبها؟ هل ستدمر الحقيقة حبها الجديد، آمالها بالسعادة؟ لقد وعدها كايل بمستقبل.. لكن هل يمكنه أن يحافظ على وعده أم أن القدر سوف يخطو إلى الأمام، ويثبت أن آمالها مبنية على أساس واهن؟ ومع دلالات التحذير عادت آخر كلمات كايل لتعذبها، وتتردد كالصدى مرات ومرات داخل رأسها حتى يتضاعف إنذارها بالشر مع كل ترديد.. «حين أعود.. لدي حديث جدي.. علي أن أطلعك على بعض الأحداث».

ماذا يريد كايل أن يقول لها بالضبط؟ اجتاح جسمها إحساس رهيب من الخوف، ليحيل الدم في عروقها إلى جليد.. أسرار يجب أن تعرفها بعد؟ ما هو المدفون في ماضيها؟

في هذه اللحظة، شعرت بقدرة أقل على التعامل مع هذا كله، فعادت إليها ذكرى الحلم الذي راودها في الليلة السابقة، ليلاحقها مجدداً. كان كابوساً لاحقها خلال الأيام الأولى لسكنها مع دايان وجيم.. وكم من ليال استيقظت فيها من جراء هذا الكابوس متعرقة مرتجفة.

في الحلم، كانت وحيدة، في ممر مظلم طويل، لا تسمع إلا نحيب يائس يقطع نياط القلوب.. ولم تكن قادرة على تحمل هذا الصوت المعذب.

وكانت تبحث بذعر لتجد مصدره، تفتح باباً بعد باب، لتجد كل غرفة فارغة دائماً، وراح ذلك النحيب الرهيب يتردد في أذنيها طيلة الوقت.

لكن حلم ليلة أمس، كان مختلفاً قليلاً.. وللمرة الأولى، تعرفت إلى المنزل في الحلم. كان منزل «مونتاغوي».. اعتقدت أن هذا أمر طبيعي، لا سيما بعد أن أمضت أسبوعاً عاطفياً متأزماً هنا، لكن الصدمة المرعبة هو إدراكها أن الإنسان الذي كان يبكي، لم يكن، إلا هي بنفسها.

ولم تبرز ايف من الظلال السوداء التي ملأت أفكارها، إلا بعد أن أمسكت أصابعها مقبض الباب البارد، واكتشفت، دون وعي، أن حركاتها قد أوصلتها إلى الطابق الأعلى. فسارت كالعمياء، من دون إحساس بالاتجاهات، إلى خارج غرفتها في مواجهة الباب المقابل.

لكن، لماذا هذه الغرفة بالذات؟ حاولت أن تفتح الباب، بدون جدوى. ثم تذكرت أن الغرفة مجرد مستودع، لم تؤثث بعد، كما قال كايل. لكن في المنزل غرف عديدة أخرى لم تؤثث كذلك، ومفتوحة تماماً.

أخذت ايف ترتجف بوعي فجائي بارد، وقلبها يخفق بإثارة مخيفة وهي تدرك أن هذه البقعة بالذات هي التي راودتها في حلمها، حيث تصغي إلى ذلك النحيب الرهيب الذي يقطع القلوب.. في مكان ما من الزوايا الخفية في ذهنها، مكان معتم. أدركت أن في الغرفة سر بالغ الأهمية.. أرادت أن تدخلها بأي طريقة.. يجب أن ترى ما هو وراء هذا الباب الموصد..

دخلت غرفة كايل وهي بالكاد تعي ما تفعل وعيناها تبحثان بذعر في كل مكان.

همست لنفسها: أرجوك، أرجوك.. أرجوك ربي! أرجو ألا يكون كايل قد أخذ المفاتيح معه!

استقرت خيبة الأمل فيها وهي تدرك أنها لا ترى شيئاً وأن المفاتيح ليست موجودة.. لكنها لن تتراجع الآن.. فلا بد من أنها موجودة في مكان ما! وبحركات مرتجفة، أخذت تفتح الأدراج عشوائياً، وهي ترمي الملابس من دون اهتمام، وتتركها مبعثرة أينما كان.. لكن، مرة أخرى كان بحثها

غير مجد.. وأخيراً لم يبق أمامها سوى الخزانة.

ترى، ماذا كان كايل يرتدي بالأمس؟ بيدين مرتجفتين فتشت، من دون أن تعرف ما تبحث عنه. سترة جينز.. هذه السترة! وما إن هزتها حتى سمعت صوت معدن خفيف في جيبها، فانحبست أنفاسها في حلقها.

يا إلهي.. أرجوك فلتكن هي.. أرجوك!

وعضت أسنانها على شفتها السفلى بقوة.. وانتزعت السترة من التعليقة وراحت تبحث في جيوبها.. وما لبثت أن أفلتت منها تنهيدة ارتياح بينما كانت أصابعها تطبق فوق مجموعة المفاتيح الباردة الصلبة.

بدت لها الرحلة القصيرة من غرفة النوم إلى الباب المقفل، وكأنها بطيئة بطيئة. كانت قدماها تجرجرانها بألم، غير أنها وصلت في النهاية.. وهنا، عانت من جديد لتبقي يدها ثابتة وهي تدس المفتاح الأول في القفل.

وترقرقت في عينيها دموع ملتهبة لإدراكها أن المفتاح غير مناسب.. وغشي بصرها وهي تتعثر في محاولات عدة فاشلة.

ـ أوه.. هيا.. هيا!

صدح صوت المفتاح الأخير وهو يدور في القفل، حتى خرق صمت المنزل. وللحظات طويلة مضطربة، نظرت ايف إلى قفل الباب قبل أن تجمع أعصابها، وتدير المفتاح مرة أخرى ثم تدفع الباب إلى الأمام.

لم تكن الغرفة غرفة مستودع.. واجتاحها الدوار وهي تقف مسمرة في الباب.. وواضح أنها مؤثثة مثلها مثل الغرف الأخرى.. تأملت ورق الجدران برسومات للغيوم والبالونات الطائرة، كان الأثاث الصغير الحجم حديثاً جداً.. أما السجادة ذات اللون الأزرق فكانت تتوهج في شمس بعد الظهر المبكر، فيما النور يتسلل من النافذة لينسكب على خزانة البطانيات حيث ترتفع ألعاب زاهية لم تلمس بعد. أما في وسط الغرفة...

وفجأة، دوى في رأسها طنين ألف نحلة غاضبة، فتقدمت إلى الداخل ببضع خطوات مترددة مرتجفة.. وامتدت يداها أمامها وكأنها تسعى إلى شيء يدعمها.. ثم اقتربت من مهد صغير من خشب الصنوبر، فتصاعدت آهة،

بل صرخة عويل وكأنها أنين حيوان يعاني ألماً شديداً. . وبمزيج من الصدمة والرهبة، أدركت أن الصرخة خرجت من فمها، تماماً كما في الحلم.

أوصلتها بضع خطوات إضافية إلى السرير الصغير، فتمسكت يداها بأطرافه بقوة حتى هددت بتحطيم الخشب. ثم أبصرت التعاليق المتحركة المبهجة التي تتدلى من السقف. . واللحاف الرائع الألوان. .

وفجأة، ظهر الرباط المفقود. . وطالعها جسم صغير نائم برضى، وقد لفه الدفء، وشعر أسود ناعم يرتاح على الملاءة الزرقاء الشاحبة، ورموش طويلة فوق خدين زهريين. .

في تلك اللحظة. . تهاوى الجدار داخل رأسها وولى وإلى الأبد، ليطلق من وراءه سيلاً من الذكريات راحت تتدفق إلى تفكيرها دونما هوادة، فتدمرها، وتمطر ذهنها بقوة الإعصار، إلى أن أطلقت صرخة يأس، ووقعت على الأرض. . فيما يد الظلام تحيط بها.

* * *

١٠ ـ وتهاوى الجدار

ـ ايف. . ايف. . حبيبتي!

في البداية، لم تعرف ايف مطلقاً هل الصوت نداء حقيقي أم أنه مجرد صدى في رأسها، لكنها أحست أن ذراعين جبارتين تحملانها، وتضمانها إلى صدر قوي. لم تكن تعرف هل فقدت الوعي أم أن التفكير والإحساس قد هجراها. لكنها كانت غارقة في طوفان من الذكريات التي اكتسحتها دون رحمة، وكل ما تعيه، هو خفقات قلب كايل في أذنها، وصوته، يهدهدها بلطف. . فتهالكت على صدره بتنهيدة، وهي لا تستطيع أن تقاوم عاصفة الذكريات.

وهاجمتها الصور. . فأبصرت المناظر السعيدة من أيامها الأولى مع كايل، وقد أصبح وجهه الآن أكثر قوة في رأسها وكأنه لم يختف عنها يوماً. . وعاشت مجدداً ذكرى لقائهما، يوم تعانقا للمرة الأولى، إضافة إلى السعادة في حفل زفافهما، وانتقالهما إلى نورفولك. . وأخيراً، تذكرت الوقت الذي عاشت فيه هنا مع كايل في هذا المنزل الرائع، وفرحهما الغامر حين اكتشفت أنها حامل، وقمة السعادة التي عرفتها، وهي تعيش مع طفلهما الذي ينمو في داخلها. . لكنها، تلقائياً، عرفت كذلك لماذا محى عقلها كل ذلك الماضي، ولماذا خبأه عنها، وخبأ عنها الرعب الذي هربت منه.

وراحت تبكي بصوت مرتفع: «أوه. . بن. . بن! طفلي الصغير!».

ـ هس. . حبيبتي!

كان صوت كايل حافلاً بعذاب يماثل عذابها. واشتدت ذراعاه حولها:

ـ يا إلهي!.. لم أكن أريدك أن تكتشفي الأمر بهذه الطريقة! كنت سأخبرك كل شيء هذه الليلة.. أردتك أن تعرفي بلطف.. لا كالمرة السابقة.

وعرفت ايف ماذا يعني، وتجلت «المرة السابقة» في عينيها بشكل معذب.. فاستعادت الذكرى المتوحشة يوم استيقظت متأخرة ذات صباح بارد لتدرك بدهشة أن طفلها البالغ من العمر عشرة أسابيع لم يزعجها كعادته أو يطالب بالطعام بإلحاح صاخب.

وعاشت مرة أخرى تجربة الرحلة المرعبة من غرفتها إلى غرفة الطفل، وهي تفكر أنه نام طوال الليل للمرة الأولى.. ثم وقفت عند الباب، ورأت رأسه الصغير الأسود الشعر يستلقي فوق ملاءة زرقاء شاحبة.. فيما بقية جسمه مخبأ تحت اللحاف البراق الألوان..

ـ هيا أيها الكسول.. إنه وقت الطعام.

وتقدمت إلى الأمام، وهي تمد يديها لترفعه.. وهي تشعر أن في الأمر سر، جسده بارد بشكل غير طبيعي، ووجهه الصغير أزرق. وهنا، أدركت ما يجري، فتأوهت مرة أخرى: «أوه.. بن.. بن!».

وأحست بنفسها تتأرجح بين ذراعي كايل المواسيتين.

أما ما تلا هذا فضباب معذب.. تذكرت صدمة كايل وذعره، ومحاولاته العقيمة في إنعاش الطفل، الطبيب، الشرطة، وأخيراً تلك الكلمات الرهيبة، الكريهة والمروعة.. رغم كل التعاطف الذي ظهر فيها «موت سريري.. ما من طريقة للمعرفة.. ما كان يمكنكما أن تفعلا شيئاً» ثم، فيما بعد النصيحة المستحيلة.. «حاولا مجدداً».. كيف يمكنها أن تحلم بالمحاولة مجدداً، وقلبها مات مع بن.. وهو مدفون معه في ذلك القبر الصغير؟

ـ طفلي!

ـ أعرف حبي.. أعرف.

تأثرت كلماته بنبرته المرتجفة فبدت غير مفهومة تقريباً، ورغم ذلك

اخترقت ضباب الألم الذي ملأ رأس ايف.. فأعادها من الماضي إلى الحاضر بارتجاج عنيف، فرفعت إليه رأسها وهي لمّا تزل بين ذراعيه، ونظرت إلى وجهه للمرة الأولى لتطالعها خطوط الدموع اللامعة على خديه: «أوه.. يا إلهي!».

ترافقت شهقتها مع أنفاس كئيبة مؤلمة. فها هي أخيراً، لا تتذكر فحسب بل تتعامل مع الأحداث الماضية من منظورها الصحيح، لا مغشاة بألمها هي. رفعت يداً، وهي غير قادرة على إخفاء ارتجافها، لتلمس خده بلطف، وتجذب العينين القاتمتين إلى عينيها الزرقاوين المليئتين بالأسى ثم صححت كلامها بنعومة: «طفلنا!».

ورأت رأسه يتراجع إلى الخلف اعترافاً بأهمية كلماتها.

حاول أن يتكلم.. فابتلع ريقه، وتحركت شفتاه.. لكن الصوت لم يتشكل. ومع ذلك أفهمها الصمت المؤلم معاناته تماماً.

ـ أوه.. كايل.. أنا آسفة.. آسفة جداً!

هز رأسه الأسود الشعر بقوة.

ـ لقد كنت تعانين ألماً عظيماً..

وخرجت الكلمات من حنجرة جافة أجشة.. وبلغ ترددها حداً طعن قلب ايف مباشرة.

قالت بلطف: «وأنت كذلك.. لكن بؤسي أعماني عن رؤية ذلك.. كنت عملياً وكفؤاً.. بارداً، كما ظننت..».

وخذلها صوتها وهي تتذكر كيف ظنت أن كايل لا يشعر بالحزن لخسارة طفلهما كما شعرت هي. وبينما انقلبت هي إلى أسوأ، تحوّل هو إلى الأمور العملية.. فنظم الجنازة، ودفن نفسه في العمل.

لقد أعماها حزنها عن رؤية الألم المرير الذي كان يخفيه وراء مظهره الهادىء.. هدوء كان مجرد قناع فرضه لمصلحتها، بينما كان يتمزق إرباً طيلة الوقت من غير أن يتمكن من إظهار حزنه كما فعلت. أما هي فظنت أنه لا يعير الحادثة اهتماماً.

ـ كان عليّ أن أدرك أنك تحبه أيضاً.. وأنك كنت تعاني بقدر ما أعانيه.. لكنني لم أستطع أن أفكر بجلاء.. بل لم أستطع التفكير إطلاقاً.

ـ أعرف.. فكرت أنني لو تركتك لحزنك، فسوف تتخلصين في النهاية من هذا الحزن.

هكذا راح يدعمها بهدوء، يتصرف كما يجب، يحمل كل المسؤولية عنها، ليتركها أسيرة لألمها. ولم تدرك إلا الآن، في هذه المرحلة الجديدة من علاقتهما أنه قد اتخذ الخطوات العملية التي تساعدها، وحاول تخفيف الضغط اليومي عنها قدر ما يستطيع، ومنحها الوقت الذي تريده.. لكنها، أساءت تفسير أعماله، وظنت أنه يحاول السيطرة على حياتها.

همست ايف: «أنا لم أشكرك حتى».

وخشيت فجأة من أن تلتقي بعينيه لئلا تتذكر أنها لم تترك له مهمة القيام بكل شيء فحسب، بل إنها تركته، لتضيف المزيد من الألم إلى ألمه.

في الماضي، شبهت حالتها كمن ينظر إلى المرآة، من دون أن يرى سوى نفسه، لا لسبب إلا لأنها الوحيدة التي تظهر في المرآة.. أخيراً، تحطمت تلك المرآة. عندها فقط، رأت أنها كانت تعكس ما فيها، طوال الوقت كانت خائفة من أن تثق بكايل.. خائفة مما قد تكتشفه عنه، خائفة من ذنبه الذي دمر علاقتهما، بينما في الواقع، رأت الصورة رأساً على عقب. وأغفلت عن الحقيقة التي تقول إنها هي المسؤولة عن ذلك الضرر.

سألت، هرباً من ضميرها المعذب: «لماذا لم تقل لي شيئاً؟».

ـ لم أجرؤ.. اعتقدت أنه خطير جداً.. لقد أوضح لي الأخصائي أنه من المخاطرة أن أصدمك بالذكريات.. وأن التحدث إليك عن الطفل.. طفل لا تتذكرينه، قد يكون فوق احتمالك.

وبالطبع، لم يشك أحد غير كايل أنه كان لها ولد. حتى الأطباء اهتموا بحالتها العقلية أكثر من حالتها الجسدية، في وقت كان من الواضح منذ البداية أنها لم تعانِ أذى جسدياً.. بل مجرد محنة عاطفية حجبت كل الذكريات حتى اسمها.

ـ ايف..

وصمت كايل، ثم أخذ نفساً عميقاً متحشرجاً. أجفلت ايف وهي بين ذراعيه.. وقد عرفت غريزياً ما هو قادم، فاضطربت أعصابها بشدة، وهي تدرك أن الرد لن يكون سهلاً..

ـ حبيبتي.. هل كانت المشكلة تتلخص في بن.. وبرودتي فقط؟ لماذا رحلت؟ لماذا..

ولم يكمل السؤال.. فقد خذله صوته، لكن ايف لم تحتج إلى النهاية.. فعلى أي حال، لقد ظلت في «منزل مونتاغوي» لأكثر من شهر بعد موت بن.. بضعف امتدت يداها إلى كايل، فقبض عليهما بأصابعه الدافئة القوية وهو يشجعها على المتابعة:

ـ حين مات بن.. لمت نفسي، ظننت أنني اقترفت ذنباً ما.. أو أنني لم أقم بواجبي.. وأنني لو فعلت، لما حدث..

وترددت. كانت تسعى جاهدة إلى السيطرة على أعصابها، لكن بدون جدوى.. وتشابكت أصابع كايل مع أصابعها بينما اندست يده اليسرى لترفع رأسها، فالتقت عيناها بعينيه الأبنوسيتين العميقتين المتفحصتين.

تمتم: «خذي الأمور ببساطة حبيبتي.. أستطيع الانتظار، أمامنا وقت طويل».

ما إن سمعت كلماته حتى غمر كيانها إحساس مذهل من السلام والثقة.. سوف ينتظر.. وما عليها سوى أن تقول له هذا، وسيكون كل شيء على ما يرام. تحولت فجأة إلى القناعة التامة بأنه سيكون إلى جانبها مهما حدث.

ـ ثم حين ابتعدت عني.. أحسست.. أن.. أن..

ومن صوت كايل توقعت ما كان على وشك أن يقوله.. ما كان عليها أن تتابع.. لكنها مضطرة إلى الكلام إراحة لضميرها.

ـ.. إنك تلومني كذلك..

ـ أوه ايف.. حبيبتي.. أبداً. لكنني لم أتمكن من الكلام معك.. لم

أكن أعرف كيف أتواصل معك.. لقد قال الأخصائي إنك ستتوصلين إلى تخطي المصاعب وحدك.. وهكذا انتظرت..

ولقد انتظر.. وبصبر لا حدود له، راح يتعامل مع حزنه في الوقت عينه. أما هي، فكانت منغلقة في بؤسها، فلم تستطع أن تتلمس الحب الذي أظهره لها عبر حساسيته المتسامحة، وإخفائه لحزنه، بل كان دائماً موجوداً إذا احتاجت إليه. وكشف عن قوة وتفهم فسرته هي على أنه عدم اكتراث قاسي القلب.

قالت: «كنت مقتنعة أن موت بن كان ذنبي.. ثم شعرت أنني خذلتك كذلك، حين تركت هذا يحدث..».

حين لم تتمكن من المتابعة صرخ كايل: «أوه ايف.. حبي!».

وضمها بين ذراعيه مجدداً، وهو يقبل الدموع التي تسللت إلى خديها.. وأكمل: «موت بن لم يكن ذنب أحد».

ارتجف صوت ايف وهي تكافح لتسيطر على نفسها: «أعرف.. أعرف. لكنني في ذلك الوقت، كنت أبحث عن أعذار.. عن شيء أفسر فيه الرعب الرهيب العشوائي الذي قتل طفلاً في الأسبوع العاشر من عمره، وأصبحت مقتنعة أنك لن تحبني بعد الآن، وأنني لن أسبب لك سوى المزيد من المعاناة.. وأحسست أن كل ما أستطيعه هو الرحيل.. والأمل أنك ستكون سعيداً مع غيري.. وربما ترزق بطفل آخر.. لذا لم أهتم بتوضيب حاجياتي.. بل أخذت فقط ما كنت أرتديه.. حتى أنني تركت حقيبة يدي لأن المال فيها مالك..».

ـ لكن.. ايف حبي.. كان من المستحيل أن أكون سعيداً مع سواك.. كانت السنتان الأخيرتان جحيماً من دونك.. ولو كنت أعرف حقيقة مشاعرك لقلت لك هذا يومها.. وما كنت تركتك ترحلين.. لكنت ربطتك بسلاسل من ذهب.

ظهرت عبر دموعها ابتسامة ضعيفة للمبالغة في كلام كايل، ورفعت يدها تلامس خده بلطف.

ـ وأنا ما أمكنني أن أكون سعيدة من دونك. وكما تعرف، كان والداي باردين لا يعرفان معنى العاطفة.. حين التقيت بك، تغيرت حياتي تماماً، من دونك، لم يكن لحياتي معنى.. وهذا ما أدركته في ذلك المقهى في العاشر من أيار.. يوم ميلادي..

قاطعها بلطف: «إنها الذكرى السنوية ليوم تأكدت فيه من حملك. ولا عجب أن يكون ذهنك المسكين المكدوم قد احترق وقرر أنه اكتفى.. وأتمنى لو كنت أعرف مشاعرك فقط، كي أستطيع أن أساعدك..».

ـ لكنك كنت تظن أنه سيساعدني.. لقد توليت كل الأمور العملية التي لا أستطيع التعامل معها.. كان كلانا حزين على طريقته.

ـ لكن، في وقت كان يجب أن نكون فيه متقاربين، أبعدنا حزننا عن التواصل.. يا إلهي.. ايف.. لو منحتني فرصة أخرى..

وضعت ايف يدها على شفتيه تسكته:

ـ كايل حبيبي.. ما هذا القول؟ ألا تعرف أن هذا ما أريده أكثر من أي شيء في الدنيا؟ وأننا يجب أن نكون معاً؟

أحست بشفتيه تطبعان قبلة حارة على أصابعها.. فخفت وتيرة الألم الذي سببته وفاة بن، ذلك الطفل الذي أحباه معاً، وفقداه معاً.

ـ أنت من عليه أن يمنحني فرصة أخرى.. على أي حال، أنا التي تركتك.. لكن في أعماق قلبي، كنت أعرف أنني لن أستطيع العيش من دونك. وعرفت هذا مجدداً هذه المرة، ربما، لهذا كنت أخاف منك في لا وعيي. ومهما حدث في الماضي، ففرصتي الوحيدة مستقبل سعيد معك. إلا أنني كنت أبعد عن السعادة، لأنني أجهل لماذا تركتك قبلاً.. لهذا لم أقل لك كم أتمنى أن أعود وأعيش كزوجة لك مجدداً.

تراجع رأس كايل إلى الوراء بحدة وسأل: «وهل أردت هذا حقاً؟».

ـ طبعاً حبيبي.. أردت أن أقضي بقية حياتي معك، وأحاول أن أشفي الجرح الذي حدث، على أساس الوعد بما هو قادم.

رأت النور المتوهج في عينيه ينعكس في قلبها نوراً أكثر تألقاً، وعرفت

أنهما سينسيان كل مشاكلهما ويخلقان معاً مستقبلاً زاهراً.

قالت تمازحه: «إذن.. هيا.. أين تلك السلاسل الذهبية التي تهددني بها؟».

أكد لها كايل وهو يضمها بين ذراعيه مجدداً:

ـ لا أحتاج إليها.. فقوة حبي تربطك بي.. تمسك بك ولا تفلتك أبداً.

***

«قوة حبي تربطك بي.. تمسك بك ولا تفلتك أبداً».. عادت تلك الكلمات إلى ذهن ايف فيما هي مستلقية على كرسي الاستراحة في الشمس تراقب كايل وهو يسير نحوها فوق المرجة الخضراء.. كانت الكلمات ما تزال واضحة وكأنه قالها في الأمس. وها هو يقولها في هذا الصباح بالذات، وهو يعطيها هديتها السنوية.

أضاءت وجهها ابتسامة سعادة صافية وهي تتحسس السلاسل الذهبية الخمس حول عنقها، واحدة عن كل سنة من زواجهما منذ التقيا من جديد.

ـ والآن، لماذا ارتسمت هذه الابتسامة التي تشابه ابتسامة القطة وقد أكلت الجبن على وجهك.. عجباً؟

وغاص كايل على العشب إلى جانبها، مكملاً: «ألا تظنين أن الوقت قد حان لتطلعيني على سرك؟ نحن الآباء بحاجة إلى تحذير مسبق، وتعرفين هذا، كما أنه علينا أن نخبر باتريك.. متى؟».

لم يتوسع كايل في سؤاله، وعرفت ايف أنه ليس مضطراً، فمن المستحيل أن تخفي سراً عن هذا الزوج الشديد الملاحظة..

قالت بنعومة: «في شهر كانون الثاني.. ومن الممكن أن يتصادف مع عيد ميلاد بن».

كانت قد أصبحت قادرة على التلفظ باسم ابنها الميت الآن بأقل حزن.. سيبقى له دائماً مكان مميز في قلبيهما.. لكن الزمن قام بشفاء أسوأ الآلام، وهما الآن يملكان الكثير مما يشكران عليه.

قال كايل ممازحاً: «إنه الوقت المناسب. ستحقق هذه القصة أفضل

المبيعات».

قالت محتجة: «يا مراقب الأرقاء! لماذا أثقلت على نفسي يوماً بجعلك ناشري، إضافة إلى زوجي؟».

قال بخبث: «هذا لأنك تحبينني.. ولا تنسي، لولا قصتك الأولى لما وجدتك ثانية».

وكيف لها أن تنسى هذا أبد الدهر؟ لو لم تكتب أول كتاب وترسله إلى مؤسسة جنسن للنشر لما عرفت أبداً السعادة التي تملأ الآن كل لحظة من حياتها. لقد شهد الكتاب الأول، بعد أن عدلت فيه الأحداث الشخصية، نجاحاً مذهلاً، أطلقها في عالم مهنة جديدة.

ـ كيف تظن أن بات سيتعامل مع فكرة أخ أو أخت جديدة؟

اتجهت عينا كايل إلى ابنه القوي البنية وهو يلعب مع جرو اقتناه حديثاً، تحت مراقبة مربية مخلصة. كان أسمر كأبيه، لكن له عيني ايف الزرقاوين.. لقد أدخل باتريك الفرح الكبير إلى حياتهما منذ ولادته قبل ثلاث سنوات.. من الطبيعي أن ايف، عاشت الأشهر الثلاثة الأولى في خوف دائم من تكرار تاريخ بن. لكن، لفرحها الشديد، عاش الطفل الصغير وتطور ليصبح صغيراً قوي البنية.

ـ سيطير ابتهاجاً.. مثلي أنا.

تنبأت ايف بإحساس كايل وقد شعرت بالدفء في صوته، والتوهج في عينيه، والرقة في يديه.

قال: «لم أكن أتمنى هدية عيد زواج أفضل من هذه.. ولا زوجة أفضل.. في الواقع..».

وكانت تنهيدته تعبر عن رضى عميق: «... لا يمكن أن أتمنى حياة أفضل».

ولا كان هي باستطاعتها أن تتمنى الأفضل.. وفكرت ايف بهذا في سرها بينما كانت شفتا زوجها تهبطان على شفتيها بقبلة حب حارة، أحست معها أن دمها بدأ يغلي بتأثير لا دخل له بدفء الشمس.

تمتم كايل: «أعتقد أن الوقت قد حان لندخل إلى المنزل.. على أي حال تحتاج السيدات الحاملات إلى الراحة».

لكنها عرفت من رنة صوته أن تلك الراحة لم تكن تجول في فكره.

احتجت ايف ضاحكة: «كايل! وماذا سيظن بنا باتريك؟».

للحظة اتجهت عينا كايل إلى ابنه، ثم عادتا إلى وجهها المتورد.

وما لبث أن تمتم بصوت أجش: «سأقول لك ماذا يظن.. سيظن أن والده يحب والدته كثيراً.. وسيكون على حق تماماً».

***

WWW.ELROMANCIA.COM
مـ ر مـ و ر يـ ة